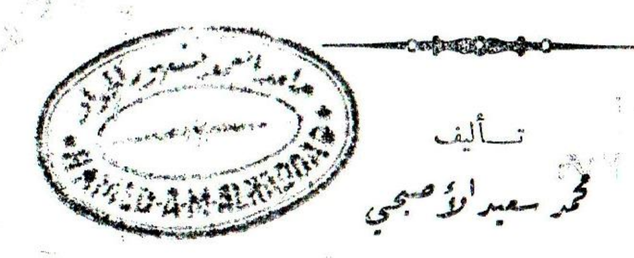
سلالة قحطان

تاريخ - أدب - فلسفة



تأليف

محمد سعيد الأصبحي

«الجزء الأول»

تحت إشراف ومراجعة

الأستاذ احمد حامد الجوهري

مطبعة فتاة الجزيرة بعدن

الإهداء

إلى الجدود السامية الذين بنوا على أكتاف الدهر
مجدهم الشامخ . فشادوا وسادوا وبادوا .

إلى الآباء القحطانية الذين تشرفت بهم الأجيال
نجدوا وجادوا وملكوا وقادوا .

إلى الأبناء اليعربية الذين تقلدتهم الليالي فاقتدوا
وقلدوا وما حادوا .

ارفع هذا الكتاب مزملاً بالتواضع والتقدير
والولاء ؟

كلمة المؤلف

عند ما أتممت كتابة الجزء الأول من هذا الكتاب الذى أسميته السلالة القحطانية اقتضى رأيي أن أصدره بالكلمة الآتية لتكون كأداة تعريف لمضمونه .

أقول : ان هذا الكتاب هو وليد فكرة صالحة ترمي الى استدراج كل يمني قاصر التثقيف الى مطالعة كتب قيمة وتخلق فى نفس مطالعها رغبة جبارة تدفعه الى حظائر العلوم والفنون وتميت منه زحافات التواكل والخمول وتبعث فى جبلته الطموح الى المجد والعلى ومراتب العز والكمال . وهذه الفكرة نتيجة ثلاث جولات قصيرة قمت بها فى بعض النواحي اليمنية عرفت خلالها ما كنت أجهله عن اليمن واليمنيين . ولقد وجدتها بعكس ما كتب عنها الكاتبون . وكان أول شيء فهمته فى تلك الأثناء هو أن الرحالة الذين كتبوا عن اليمن فى الحقيقة لم يكتبوا شيئاً عنها وانما كتبوا عن شعورهم نحوها . فهل كتب الذين تصدوا للكتابة عن مهد اللغة التي يتشادقون بها شيئاً عنه ؟ كلا .. ووالله ما كتب هؤلاء الا الشقشقة واللقلقة يجسمون النقط التافهة التى لا تستحق الاهتمام ويفترون السيئات ويضربون عن الطيبات الصالحات . هكذا يكتبون وهكذا يقول

الناظم :

شر الأنام بعيب الناس مشتغل مثل الذباب يراعي موضع العلل

هذا هو أول شيء عرفته فى جولتي الأولى . أما الأشياء الباقية التي عرفتها أو فهمتها بالمشاهدة والاختبار هي عظمة اليمن وآداب رجاله وأخلاق أمته ، وقد ضمنت بعضها هذا الكتاب ...

أقول بعضها لأنى كنت أدون كل ملاحظاتى ومشاهداتى فى اليمن على صفحات مذكرتى والذى يؤسفنى هو أننى تركت هذه المذكرة الثمينة ضمن أمتعتى التى ضحيت بهـا حال مغادرتى لجبوتى بسبب الحرب النازية التى لم تكتف رجالها باتعاس الأمم واشقاء الشعوب بل أخذت توجه هجوماً آخر نحو المبادئ والديانات وحرية مرافق الحياة لتمحق به ثمار الغرس الذهبي الذى تعبت أيادى الانسانيـة فى غرسه وتنميته السنين الطوال فكأن بقاء هذه الثمار محرم فى الشرعة النازية .

ولا يحسب كل مطلع على كلمتى هذه أننى وضعتها جزافاً أو رجماً بالغيب أو حقداً على الألمـان لتحقير زعيمهم لشأن العرب فى كتابه «كفاحي» .. لا والله ، لا لهـذا ولا لذاك . وما وضعتهـا الا استناداً الى حقائق هائلة استقيتها من ضابط طرابلسي جمعتني به الصدف فى محطة «علي شعا» وقد أخذنا نتحدث عن الحرب المـاضية والمقارنة بينها وبين الحرب الحاضرة حتى أفضى بنـا الحديث الى سير الحرب فى ليبيا وبهذه المناسبة أخذ محدثى يسرد على مسامعى ما يلاقيه الايطاليون والمسلمون من قسوة الضباط الألمـان فى ليبيا . فقلت له ومن الذى

أوصل اليك خبر هذه المآسي وأنت فى بلاد الحبشة من مدة طويلة ؟ فقال لي : وصل قبل أسبوعين الى أديس أبابا طيار ايطالي فى مأمورية خاصة وكنت وقتئذٍ فيها فاجتمعت به وهو يحدث نفراً من أصدقائه عن استبداد الألمان فى ليبيا . وكان حال دخولى عليهم يروي أن ضابطاً عسوياً نازياً رأى فى فرقته جندياً ايطالياً يحمل فى عنقه صليباً من الذهب فاستدناه منه فلما مثل بين يديه مد يده الى عنقه وانتزع الصليب منها وقلع به فى الفضاء وقال ان الذى يحمل هذا يجب أن يكون فى الدير لا فى مثل هذه المواطن . ثم أخذ يوبخه توبيخاً قاسياً وأمر بحبسه خمسة أيام .

قال محدثى : فتملكنى الغضب من هذه المعاملة التي تجاوزت حدود الفظاعة النيرونية وثرت من موضعى وقلت له لو عومل أحد أبناء المسلمين هذه المعاملة لأنتقم لكرامة دينه بطرف «السنكة» أي النمشة التي تغرز برأس البندقية فقال الطيار مهلاً أيها الرفيق ان نصيب المسلمين من الألمان هو أسمن من نصيب الايطاليين . اصغ الي لأحدثك عن شيء من ذلك . فأخذت مكانى وعند ما هدأت أعصابى سمعته يقول كان شاب بنغازي مسلم متجنداً فى فرقة ايطالية يقودها ضابط المانى فأصيب الشاب بشظية فى فخذه فنقل الى مركز من مراكز الاسعاف فكتب الى أخيه يعلمه بذلك فاطلع مراقبو البريد على خطابه فأرسلوه الى قائد فرقته فلما رأى الخطاب أعدم كاتبه رمياً بالرصاص والقائد هو القاضي أيضاً فى فرقته !..

قال محدثى : فلما انتهى الطيار من كلامه طأطأت رأسي لأخفي حبات الألم التى انتثرت على خدي فلم يمهلنى ريثما امسحها بل استأنف حديثه يقول : والأفظع من هذا ان القيادة العامة أصدرت أمراً بنقل أرطة المانية من طرابلس الى معقل يبعد عنها نحو سبعة أميال وكانت السيارات لا تكفى الا لنقل الذخيرة كما ان البترول عزيزاً أيضاً فانتشر الجند الألمانى فى المدينة يسوقون الرعايا لحمل أمتعتهم قسراً وكان ذلك اليوم يوم الجمعة التى تقدسها المسلمون . وقد صادف فريق من الجند الألمانى جماعة من المسلمين ذاهبين الى صلاة الجمعة فى أحسن ملابسهم وطيبهم فاقتادوهم جميعاً فعدا أحدهم ولاذ بالمسجد وكان الخطيب قد رقى المنبر والمسجد غاص بالمسلمين فكر الجند فى أثر الرجل ودخلوا المسجد بأحذيتهم ولم يكتفوا بأخذه بل اقتادوا كل من بالمسجد من المسلمين وأنزلوا الخطيب من على المنبر وأضافوه اليهم والويل لمن يحتج أو يحرك لسانه ! !

اذا كان الألمان يعاملون حلفاءهم هذه المعاملة فما هي ياترى معاملتهم للممالك التى يجتاحونها والشعوب التى يستعبدونها ؟ لا شك أن مجرد تصورها يبعث الرعب فى أقسى القلوب ...

وهذه الثلاث الفظائع التي أوردتها كأنموذج للوحشية النازية والتى كان استنادى عليها فى وضع كلمتي عن الحرب النازية المزدوجة هى ثلاث من احدى عشرة فظيعة سمعتها من ذلك الضابط الطرابلسي . ولا شك ان هذه الاحدى عشرة التي عرفناها هي القليل من الكثير

الذى لا نعرفه . فهل لهذه الأمم المرهقة المسومة سوء العـذاب من يأخذ بيدها وينتقم لها ؟ وأين هو ياترى ؟ «بالمرصاد»

نعم هو بالمرصاد ، وما هذا الاهمال والامهال الا خدعة من خدع الدهر سوف تنتهي بضحكة ساخرة من فم الأقدار .

فليتمتع النازى الكبير بجرائمه بين تبخر الأرواح المزهقة وأنين الجرحى الدانفة وصراخ اليتامى البائسة وعويل الأمهات الثاكلة وبكاء الأرامل العـاطلة وليبذر فى نفوس قومه بذور الغرائز المقيتة وليغرس فيها الشرور الخبيثة وليترنم بقول أبى طاهر :

أنـا لله ولله أنـا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

فلكل أجل كتاب ولكل عمل حساب وما الله بغـافل عما يعمل الظالمون ...

لقد أخرجتنى اشارتى الى هذه المأساة عن موضوع كلمتى ..

كنت ذكرت اننى تركت مذكرتى ضمن الأمتعة التي ضحيت بها حال خروجى من جبوتى لذلك استحسنت أن أصرح فى كلمتي هذه بأن كل ما وضعته فى هذا الكتاب انمـا اعتمدت فى وضعه على ذاكرتى ، ليس الا .

ولأمر مـا قسمت الكتاب الى جزءين خصصت الجزء الأول منه بالكلام على قبـائل الحجرية من اليمن الأسفل ولغتهـا ونوادرها وشواذها ونبذة من حكمها وأمثالها .

أما الجزء الثانى فقد ضمنته أسرار اليمن ومخبآتها وتراجم بعض

أدباء اليمن مع شيء من أشعارهم الرصينة وكلماتهم الثمينة والمؤلفين ومؤلفاتهم وتراجم بعض عظمائها . وعلى كل سيبرز الكتاب بمعنوية لا تقل عن معنوية فيما لو كان نقل عن المذكرة المفقودة . وقد تعمدت فيه الاقتضاب وسهولة العبارة بقدر المستطاع والله الموفق ؟

عدن فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤١

مصادر الكتاب

١. البيان والتبيين للجاحظ
٢. نيل الوطر لمحمد بن محمد زبارة
٣. تاريخ الاسلام السياسي لأمين سعيد
٤. ملوك المسلمين
٥. صحيح مسلم
٦. مخطوطات تاريخية عبرانية
٧. دائرة معارف القرن العشرين
٨. تاريخ ابن خلدون
٩. إحياء علوم الدين للغزالى
١٠. المذهب الروحاني لعبدالله اباحي
١١. مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلانى
١٢. كفاحى لأدولف هتلر
١٣. غزوات العرب للامير شكيب ارسلان

سلالة قحطان

تـــأليف

محمد سعيد الأصبحي

بمراجعة وتصحيح

الأستاذ احمد حامد الجوهري

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدي وثنائي وخضوعي لك ياباري الكائنات وصلاتك وسلامك ورضوانك على نبيك الصادق الأمين وعبيدك الأصفياء النافعين ورحمتك وحنانك على الخلائق أجمعين .

أستمنحك الرضا والتوفيق وبك أستعين ؟

اليمن

يتلجلج بها التاريخ وتبرزها الآثار ويخفيها الاعتزال

اليمن هي الوطن الطبيعي للعرب السامية والقحطانية والمهد الحقيقي للغة العربية الفصيحة ، والتـاريخ يتلجلج فى سرد حوادثها وتقلباتهـا وتقلصها وامتدادها .. والمؤرخون والجغرافيون يحددون جغرافيتها الطبيعية تحـديداً قياسياً لأن امدادها التـاريخي ضئيل جداً إلى درجة يستحيل بمجرد الاستضاءة به القيام بتحديد مضبوط وذلك لفقد أكثر حلقها الهامة التي تحصر عدد فروع أمتهـا وتعرف كيفية تفرعها وأسباب تنقلها وتبـاعدها وتعين كل موضع انفصل عنهـا أو اتصل بحكم الظروف التى اجتازتها وتربط بين حوادثها وتجعل تاريخها مسلسلاً مفصلاً من بدايتـه الى نهايته . فلو أن هذه الحلق المفقودة من سلسلة هذا التاريخ كانت موجودة لتضاءلت ازاءه كل تواريخ الأمم المتشامخة ..

على أننـا بمجرد قراءة بعض كتب هذا التـاريخ فى روايات وحكايات مقتضبة ووصف غاية فى الايجاز تتجلى لنا عظمة اليمن الباذخة على الرغم من أنها متباعدة التواصل ومقطعة التسلسل ومشوشة الترابط إلا أنها قوية المصادر .

فان نوه التـاريخ بذكر اسكندر المقدونى والقيصر يوليوس

وشارل مارتل وسميراميس وكليوبطرة وجان دارك فلتفخر اليمن بأفريقش الحميري الفاتح العظيم وتبع والسمح بن مالك وبلقيس والزرقاء بن وخولة بنت الأزور .. فان تكن الطبيعة أوجدت مجموعة من العظماء فى أمم الدنيا بأسرها فقد أوجدت ما يضاهيها فى أمة اليمن وحدها .. فاليمن هو معيار عظيم يعدل ببقية الدنيا بأجمعها فى الوزن والترجيح ، ومسرح حياة راقية يفوق مسارح الحياة الأجنبية بأسرها فى المقارنة والتقويم .

ومجمل القول ان الآداب الراقية والبطولة المسجلة والفصاحة النادرة والحكمة البالغة والملك القديم هي من معانى اليمن التى لا ينكرها انسان . ويكفي اليمن شرفاً وفضلاً قول النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان يمان والحكمة يمانية . وقيل ان الآداب والأخلاق والحكم كانت فى أربع أمم هي العرب والروم وفارس والهند . أما حكيم ابن عياش الكلبي فيرى ان الرابعة هي الحبش ، أشار الى ذلك بقوله

ألم يك ملك أرض الله طراً لأربعة لـه متميزينا
لحمير والنجاشي وابن كسرى وقيصر غير قول المترينا

كذلك الخطباء والشعراء والحكام والكهان أشهرهم من قحطان ومنهم أيضاً الرواة والنساب والعلماء كشرقي بن القطامي الكلبي ومحمد بن السائب الكلبي والهيثم بن عدي الطائى وأبى روق عطية بن الحارث الهمدانى وعبدالله بن عياش الهمدانى وهشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبى مخنف لوط بن يحيى الأزدي ومحمد بن عمر الأسلمي الواقدي

وعوانة الكلبي وابن عيينة المهلبي والخليل ابن احمد الفراهيدي وخلف بن حيان الأحمر الأشعري وعبيد بن شرية الجرهمي أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه ولم يسمع منه شيئاً .. استقدمه معاوية من صنعاء اليمن وسأله عن أخبار المتقدمين من ملوك العرب والعجم وعن سبب تفرق الألسنة وتفرق الناس فى البلاد . فلما أجابه أمر معاوية بتدوين ما قال معزواً اليه . وعاش عبيد الى عهد عبدالملك وله كتب . وزعم ابن الكلبي انه عاش ثلاثمائة سنة .

ومن خطباء اليمن الصباح بن شقي الحميري . قال أبو عثمان : ومن خطباء اليمن ثم من حمير الصباح بن شقي الحميري. وكان أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار قيس بن الشماس ومنهم ثابت بن قيس بن الشماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم روح بن زنباع وهو الذى لما هم به معاوية قال : لا تشمتن بى عدواً أنت وقمته ولا تسوءن بى صديقاً أنت سررته ولا تهدمن مني ركناً بنيته هلا أتى حلمك واحسانك على جهلي واساءتى ؟

ومن خطبائهم الأسود بن كعب العنسي . وكان طليحة خطيباً وشاعراً وشجاعاً كاهناً ناسباً . ومن خطباء الأنصار بشر بن عمرو بن محصن وهو أبو عمرة الخطيب . ومن خطباء الأنصار سعد بن الربيع وهو الذى اعترضت ابنته النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها : من أنت ؟ فقالت : ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع ، ومنهم خال حسان بن ثابت وفيه يقول حسان :

ان خالي خطيب جابية الجو   لان عند النعمان حيث يقوم

عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة . والمنـاذرة هم أبنـاء عم الغسانيين

ويرجع نسبهم جميعاً الى قحطان خرجوا من اليمن بسبب حادث سد مارب

قال أمين سعيد في مؤلفـه «تاريخ الاسلام السياسي» ويميـل معظم

المؤرخين الى الاعتقاد بأن أصل الغسانيين من قحطان هاجروا من اليمن

على أثر حادث سد مارب فهبطوا عسير والحجاز ثم قصدوا نجـداً ثم

انتقلوا الى البلقاء وتغلبوا على الضجاعمة من قضاعة وحلوا محلها فكثر

عددهم واتسع نفوذهم فرأى الروم ان من مصلحتهم أن يستعينوا بهم

في حفظ أمن البادية وفي حروبهم مع الفرس فقربوهم منهم ، انتهى .

قال أبو عثمان : ومن القدماء في الحـكمة والخطابة والرئاسة

عبيد بن شرية الجرهمي وأسقف نجران واكيدر صاحب دومة الجندل

وافيعى نجران وذرب بن حوط وعليم بن جناب وعمر بن ربيعة وهو

لحي بن حارثة بن عمرو مزيقيا وجذيمة بن مالك الأبرش وهو أول من

أسرج الشمع ورمى بالمنجنيق(*) .

ومن القبائل القحطانية البعيدة «كتامة وصنهاجة» وهي من

بقايا حمير التي غزا بهـا أفريقش الحميري بلاد أفريقيا فتخلفوا في بلاد

المغرب وقيل ان قبائل البربر منهم .

قال المؤرخ ابن خلدون ان علماء النسب البرابرة يعتقدون انهم

ينتسبون الى جدين عظيمين «برنس» و«مادغيس» وهما من أبناء بر الخ

(*) وقيل ان أول من رمى بالمنجنيق هو النمرود حينما ألقى ابراهيم الخليل في النار

وقيل انهم من نسل كنعان بن بربر بن قيس بن عيلان ، وقيل انهم من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح وقيل من ولد بربر بن كسلاجم بن مصرايم بن حام بن نوح ، وقيل من ولد بربر بن تملا بن مأرب بن فاران .

وقال ابن خلدون ان اسم البربر مأخوذ من رطانة لغتهم وان أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا أفريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والأمصار ، وباسمه كما زعموا سميت أفريقية ، سمع رطانة هذا الجيل من الأعاجم ووعى اختلافها وتنوعها فتعجب من ذلك وقال ما أكثر بربرتكم فسموا بربراً . وكذلك كانوا يسمون بحر الهند بالبحر البربري ، لأنه لم يكن يتصل ببلاد الرومان أو هو خليج عدن . وسموا «برباريكوم امبريوم» فرضة على مصب نهر الهند .

والخلاصة لا يوجد دليل معقول مقنع على ان البربر من ولد قحطان البتة . أما انهم من ولد ابراهيم فمحتمل وجائز . أما كتامة وصنهاجة فلا يوجد وجه للخلاف فى قحطانيتهم بعكس البربر الذين لا يتكلمون اللغة العربية بل ان لهم لغة مختصة بهم وخط مستقل قديم وفى لغتهم بربرة الا انهم ينطقون بمخارج الحروف العربية وهذا لا يكون دليلاً على انهم من قحطان لأن عرب قحطان لا تؤثر على لغتهم وفصاحتهم التنقلات واستيطان البلاد البعيدة كما هو مثبوت وهم فى لغتهم أفصح وأبلغ من الأمم جميعها .

وقـد دلل أبوعثمان فى البيان والتبيين : على ان العرب أنطق الأمم وان لغتها أوسع اللغات وان أقسام تأليف كلامها أكثر وأمثالها أجود وأسير وان البديهة مقصورة عليها والارتجال والاقتضاب خاص فيها وبين الفارق بين أشعارها وبين الكلام الذي تسميه الفرس والروم شعراً وكيف صارت العرب تقطع الألحـان الموزونة فيضع موزوناً على موزون والعجم تمطط الألفـاظ فتقبض وتبسط فتخل بوزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون ، انتهى .

آثارهـا

أما الآثار فناطقة بمجدها الشامخ وعظمتها البـاذخة وعزتهـا القعساء ومفصحة عن آداب أمته ومتـانة أخلاقهم وبلاغـة حكمهم وشدة بأسهم وقدم ملـكهم . وقد انتقل من مـآثر اليمن وتحفهـا القابلة للانتقال ما لا يقدر بثمن فى أزمان وعصور متباينة بحكم الظروف التى أسلمتها الى أيدي الغاصبين والحوادث التي خرج بسببها أكثر القبائل مهاجرين الى شمال الجزيرة . فمنها ما نقل الى فلسطين فى عهد الدولة الاسرائيلية ومن فلسطين الى رومانيـة فى عهد القياصرة . ومنهـا ما نقل الى الحبشة فى عهد الحـكومة الحبشية . وقـد رأيت قسيساً حبشياً يحتفظ بتحفة أثرية يمنية هي عبارة عن علبة من النحاس قد استأكلت أضلاعها وفيها سبعة ألواح فضية رسمت عليهـا خوارط

فلكية وفى حواشيها أسطر دقيقة بالخط العبرانى . وقد حاول السيد عبداللطيف الهجام شراءها منه بقيمة باهظة ولكنه رفض ذلك رفضاً باتاً وزعم أنه يرى فيها بركة أجداده . وقد كتب على ظهر العلبة كلمة «أصيلع» وهذا اسم موضع معروف فى اليمن الأسفل . ومنها ما نقل الى بلاد العجم فى عهد الحكومة الفارسية . ومنها ما نقل الى العراق والشام فى العصرين الأموي والعباسي وقد انتقل بعض هذه الى أوروبا ابان الحرب الصليبية . ومنهـا ما نقل الى مصر فى عهد المظفر ومن مصر الى فرنسا فى عصر نابليون . ومنها ما نقل الى الاستانة فى عهد السلطنة العثمانية . ولا تزال اليمن غنية بالمآثر العظيمة والتحف النادرة الثمينة . ومن جهة أخرى فما زالت بكراً محتفظة بكنوزها الطبيعية ولما تصل اليها يد عابث . وأمير المؤمنين أيده الله لا يألو جهداً فى مبالغة الحرص عليها حرصاً عظيماً يتكافأ وقيمتها وقد اقتضت حكمته تأجيل أوان استغلالهـا الى أجل مناسب رغم اقتراحات عقيمي النظر من المتطفلين . ولا يبهم على كل ذي بصيرة ما فى هذه الحكمة البالغة من المصلحة العظيمة والنتائج البـاهرة . وأناة مولانا أمير المؤمنين من هـذه الناحية ليست ثقلاً وجموداً كما يعتبرها سخيفو الحكم بل هي سير حثيث الى غاية هي أسمى وأدق من أن يتصورهـا الجاهل البليد .

وزار اليمن كاتبان قديران فأخذ الناس يتطلعون بنفوذ صبر الى بروز الصورة التى وضعها هـذان السيدان لليمن الميمون . وما لبثت

أن برزت الصورة واذا بهـا مشوهة ذميمة . لأن الرجلين أخذا فى وصفها بتقبيح حالتها واستهجان عاداتها وتقاليدها ويتحاشيان محاسنها وفضائلهـا . ومثلهم كثيرون حكموا عليها فى تحريراتهم حكماً قاسياً رجماً بالغيب وعبثاً بالظنون ، ولم يراعوا فى ذلك العـدل والانصاف ، فدللوا بمـا كتبوه عنها بل بمـا كتبوا عن شعورهم نحوهـا عن عادة منشئهم ومعنى وسطهم وصورة حياتهم فى أوطانهم حيث تتمشى الرذيلة مطمئنة سافرة برقعهـــا . فهؤلاء الذين نشأوا فى هذه التي ألفتهم وألفوها يجدر بنـا أن لا نلومهم فى ما كتبوا وشغبوا فعذرهم فى ذلك واضح لأنهم لم يجدوا فى اليمن ما يستوجب رضاهم عنها لعـدم وجود القهوات الخلاعية ودور الملاهي الشامخة ونوادي الميسر الجامعة وحانات السكر الصاخبة وحارات البغاء الاباحية وميادين الدعارة الفسيحة

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السوء تبدي المساويا

صحيح . فهذه الفروع التى تتألف منها الرذيلة لا توجد فى اليمن .

أما الصورة الحقيقية الواضحة لليمن وحياة اليمنيين فقـد ضمنتها هذا الـكتاب مبتدئاً بذكر القبائل الحسنة المخارج السليمة الحروف فى بلاد الحجرية من اليمن الأسفل والله الموفق للصواب ؟

ذبحان

هي قطعة جبليـة فى بلاد الحجرية من اليمن الأسفل ، نقيـة الهواء طيبة المناخ ، وبرودتهـا معتدلة بالنسبة الى البلاد البـاردة . تجـاورها شرجب ومذحج والأصابح وبلاد الزرقـاء[1] والزعازع . تسكنها قبيلة صغيرة تكون مجموعة قرى متفرقة كل قرية لا يتجاوز عدد أفرادها المـائة ، يعمرون منـازلهم بالحجر الأسود والطـين اللازب وتتألف دورهم من طابقين وثلاثة وتنحصر أعمالهم فى الزراعة والعمارة والتجارة وتختلف مهنهم اذا هاجروا الى البلاد الأجنبية ، ويمتازون على جيرانهم بصحة الأبدان وشدة العـارضة وطلاقة اللسان ، وهم معروفون بتعشقهم للعلم والمثابرة على الأعمال ، وفيهم نزعة الى التمدين مع تمسك شديد بالتقاليد والعوائد التى غبرت عليها أسلافهم .

أما حاصلاتهم الممتازة فهي البر والشعير والدخن والذرة والزبد والعسل ، وهم معروفون بالشجاعة والدهاء والأنفة والإباء لا تجـد منهم متسولاً ألبتة ، وفيهم نوع من الزهو المستهجن .

وزعيم هذه القبيلة هو الشهيد الشيخ احمد نعمان رحمة الله عليه ، قضى أيامه فى عهد الحـكومة التركية وكان من أهل الشدة والبـأس والحلم والـكرم وفضائله فى البلاد اليمنية أشهر من أن تذكر . وخلفه

---

(١) لعلها هند بنت الخس الأيادية

فى مركزه أخوه عبدالوهاب نعمان وهو الآن فى صنعاء[١] فقام مقامه ابن أخيه محمد احمد نعمان وقد أسندت اليه حكومة أمير المؤمنين أعمالاً فقام بها خير قيام ثم قلد عاملاً على حيفان ولم يزل عليها حتى الآن .

وحيفان شبه مدينة صغيرة فى بلاد الأغبري ، وسكانها رجال تقوى وصلاح مسالمون يتحاشون الشر جبلةً منهم فى حب الخير . وسنأتى على ذكر هذه القبيلة فى موضعها ان شاء الله .

أما الأصابح فيختلفون عن الذبـاحنة بعض الاختلاف[٢] ، يعيشون فى أرض صخرية غزيرة المـياه لطيفة الهواء ، ومزروعاتهم الذرة والبر والدخن والشعير ولـكنهم قليلو الانتاج لا تكاد خيراتهم تقيم من أود أصلابهم ، وفيهم ثلاثة أدواء الـكبر والحسد والعجب ومن صفاتهم الطيش والرعونة . وقـد بلغ بهم الخمول الى درجة لا يستطيعون معها استغلال ميـاه المنابع التي فى أرضهم فيكتفون بمـاء المطر !! وهذه النقط السوداء هي التى جعلتهم أفقر عرب الحجرية . أما شجاعتهم فلا تقل عن شجاعة جيرانهم ، ويمتازون عليهم بالـكرم والعناد ، وهم أقرب الى التمدين منهم الى الهمجية .

وتقع على مقربة من هـذه الأرض قرية عظيمة تسمى «المنزل» تسكنها فئة رجالهـا ينتسبون الى بعض مشائخ الصوفية ويزعمون أنه

---

(١) نقل الى صنعاء فى تاريخ معروف لسوء تفاهم حدث بينه وبين السيد علي الوزير

(٢) جاء جدهم من الشام اليمنى ، لأنه خرج بقطعة من مواشيه يتتبع الـكلأ حتى رماه السير فى هذه الأرض فاستحسنها لذلك يقال للرجل منهم الشامي الأصبحى

الشيخ الطيار صاحب الضريح المشهور فى تربة ذبحان ويعرفون ببني «مسن» وهو الاسم الغالب عليهم ، وهم مفرقون فى قبائل شتى . وهذه الفئة من النوع الذي يعتريه الانجذاب النفسي .

ان أفعال هؤلاء المجاذيب شاذة مدهشة ولكنها تثبت لنا نظرية القائلين ان الانسان شخصيتان مزدوجتان وكلتا الشخصيتين مسخرة للروح خاضعة لها تتغير بتغيرها وتهدأ بهدوئها . والحال النفسية تتأثر وتنفعل بمؤثرات كثيرة ، خارجية وذهنية ومادية ومعنوية بواسطة الحواس . يعنى ان المؤثرات الخارجية أكانت مادية أو معنوية تنفذ الى النفس من طريق السمع أو البصر أو الشم أو الطعم أو اللمس ، والمؤثرات الذهنية تأتى من الذاكرة أو المخيلة ، ونفس المجذوب تتأثر بمؤثر خارجى أو ذهنى ينفذ اليها من احدى هذه الطرق المذكورة حسب طبيعته ومزاجه . فتراه فى لحظة يخرج عن حالته الطبيعية الى حالة جنونيـة منكرة يضرب بخنجره بطنه ونحره و كل ما تصل اليه يده من جسده أو جسد غيره ، ولكن تلك الطعنات تلتئم قبل أن يميزها دقيق النظر ..!!

وقد رأيت شاباً «مجذوباً» وقف بين نار متأججة أعدت لشواء كبش وقد دام فى وقفته نحو خمس دقائق لم يحترق فيها حتى قميصه .

ومن متصوفة البوذيين الذين تغلبت أرواحهم على أجسادهم من يوضع له جسر من الحديد فى طول عشرين قدماً وتوقد تحته النار حتى يبيض ويتطاير منه الشرر فيـأتى وليس عليه من الملابس الا ما يواري

سوأته ويتبختر على ذلك الجسر كأنه فى روضة من رياض الجنان[١] .!

وكان السيد ضرار بن الأزور الصحابى المشهور فى الفتوحات الاسلامية اذا رأى بريق السيوف وسمع لجب الجيوش خرج عن حالته الطبيعية فيندفع الى المعمعة وهو عاري الجسد فتدور به السيوف وتعتوره الرماح ولكن وهو فى تلك الحالة لا يفلح الحد فى جسده ؛ حتى ان الرومان كانوا يسمونه الشيطان العريان .

وقد لبث الخليل أياماً فى نار «نمروذ» وخرج منها سليماً معافى .

ان هذه الأسرار المغلقة كانت فى الماضي صعبة التحليل والتعليل أما الآن فقد كشف العلم عن باطنه . فالمكتشفات الغربية والعلوم الحديثة فككت الألغاز المبهمة وفضحت الكثير من الأسرار الغامضة .

قرأت فى بعض مجلات الهلال ان استاذاً أمريكياً من فطاحل العلماء اخترع شعاعاً قمرياً ممغطساً وكان يسلط هذا الشعاع على كلبه ثم يأخذ سيفاً ماضياً ويفصل به الكلب شطرين فيلتئم بوقته ولحظته لأن الالتئام يسير فى أثر السيف وبسرعته . فكان السيف ذاته يجري عملية القطع بحده فى حين يجري عملية الالتئام بمتنه . وقد

---

(١) وأعظم من هذا ما تأتيه آل على بن هلال مشائخ المدارة من دثينة فى مولد ٢٧ من رجب إذ يشعلون النار فى موضع فسيح من الأرض حتى ليكاد لهبها يخطف الطير فيأتون رجالاً ونساء وعليهم ثيابهم الدسمة فيخوضونها ويتقلبون فيها فلا يحترق شيء من ثيابهم . وهؤلاء المشائخ يسكنون النجدة من أرض العوذلى وجدهم الشيخ عمر بن سعيد المقبور فى المدارة من بلاد دثينة .

جرب هذا الاختراع بمحضر من كبار العلماء والفنيين فى حيوانات مختلفة منها الثعبان . وسلط هذا الشعاع على بعض البقول فأتت أكلها قبل أجلها المسمى بمدة تساوي ثلث مدتها المعلومة . ان هذا الاختراع يكشف لنا عن سر ناموس عظيم من نواميس الجاذبية .

ولا جرم أن أضواء الكواكب المسلطة على كوكبنا المظلم هي العامل الضروري لتسيير نظام الحياة على وجه الأرض .

وبوقف النظر على هذه الحقيقة يتجلى لنا سر مهنة المجذوب . ولعل الذين اطلقوا عليه هذا الاسم كانوا من أهل الحقيقة الذين توصلوا الى اكتشاف أسرار الأحوال بالرياضة الروحية ، لأن نفس الشخص المجذوب اذا تأثرت بمؤثر خارجي أو ذهني تنفعل انفعالاً شديداً وتتشعشع تشعشعاً ممغطساً حتى تفيض على الجسد فيضاناً زاخراً (١) ، وفى هذه الحالة يهتز اهتزازاً مخيفاً يحدث منه ارتباك فى نظام العقل والحواس وحينئذٍ يسخر جسم المجذوب من الحديد والنار . وهذا إلماع اجمالي ولو أردنا التبسط فيه لاحتجنا الى رطل من الورق .

أما «الزريقة» التي أسلفنا ذكرها فهي قبيلة حقيرة ، ورجال هذه القبيلة فيهم مزاج يابانى ينزعون الى الشر ويمتازون بالخبث عن قبائل الحجرية قاطبة . ومن مزاعمهم ان الزرقاء الكاهنة منهم ولهم فيها أقاصيص عجيبة .

---

(١) طالع كتاب المذهب الروحاني لعبدالله اباحي منقولا عن المجامع العلمية والأوروبية والأمريكية من التجارب القيمة والنظريات العظيمة .

العزاعز

هي قبيلة تجاور الأصابح وذبحان والزريقة ، وأفراد هذه القبيلة أهل مقالب ونكت فكاهية . ولهم مزاج ملتهب يستره برود غريزى رهيب ، وقوتهم الروحانيـة كامنة فى أعينهم ، حتى لقـد اشتهروا بالاصابة بالعين بين قبـائل الحجرية كلها . وهـذه الخاصية أصبحت محققة فى عصرنا هذا ويؤيدها التنويم المغناطيسي .

ان خطر العين كان وهماً عند قوم وحقيقة عند آخرين وقد تعوذ من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه الخاصية تنقسم إلى قسمين طبيعية ومكتسبة . وتختلف بعظم الخطر وبساطته . فالخاصية الطبيعية تـكون فى أولي الأمر والمارعين . فنظرات أولي الأمر من النوع ذي التـأثير البسيط ، ونظرات المارعين من النوع ذي التأثير الخطر .

أما القوة المـكتسبة فتكون فى نظرات الأوليـاء والسحرة والمنومين . فنظرات المنومين والسحرة من النوع البسيط الخطر أما نظرات الأولياء فهي من النوع الشديد الخطر .

قيل ان السيد عبدالقادر الكيلانى نظر الى طائر محلق فى الفضاء فخر الطائر ميتاً من تأثير نظرته النفاذة[١] .

---

(١) مناقب السيد عبد القادر الـكيلانى

قلت أن رجال هـذه القبيلة اشتهروا بالاصابة بالعين بين عرب الحجرية ولهم فيهـا نوادر مضحكة ومبكية سنورد شيئاً منها فى الجزء الثانى ان شاء الله . وقيل ان المجرم الذي أغتال الشيخ احمد نعمان كان عزعزياً من هذه القبيلة دخل عليه فى خيمته وهو يمثل دور المتظلم فلما مثل بين يدي الشيخ العظيم تناول بندقيته كأنه يريد أن يلقيها بين يدي الشيخ رحمة الله عليه . فلما ساوت البندقية صدر الشيخ ضغط الشقي على الزناد وكانت القاضية(١) . عليه الرحمة والرضوان آمين .

وتقع فى جوار هـذه الثـلاث القبائل قبيلة القريشة ورجالهـا يفضلون التجارة على كل عمل وفيهم شبه بخل لعله من نوع الاقتصاد . سئل أحدهم عن فائدة «الأردي» (عملة عدنية وهو ثلث البيسة) فقال ان «الأردي» اذا أردته ليوم يفيدك أو تريده لشهر نفعك أو لدهر كفاك . فقيل له أما فائدته اليومية فمفهومة لدينا اذ نأخذ به شربة ماء ، ففسر لنا فائدته الشهرية والدهرية . فقال القرشي ان الأردي اذا أخذت به ملحاً فسأملح منه طعـامي شهراً واذا أخذت به مسماراً أدقه فى الحائط وأعلق به سترتى دهراً ، واذا مت أورثته ولدي واذا مات ولدي أورثه بنيه . لقد أظهر هذا الرجل عبقرية فذة فى علم الاقتصاد(٢) . وهـذه القبيلة لا تختلف فى المعيشة والعوائد واللهجة فى الـكلام عن جاراتها وتجاورها فئة صغيرة من آل البيت تنتمي الى

---

(١) كنت دونت تاريخ هذه الحادثة فى مذكرتى عن الشيخ قاسم بن حميد الأصبحى

(٢) وقيل أن هذا الرجل من الحضارم .

سيد من سادات حضرموت وفيهم ضريح السيد عبدالهادي بن احمد وهو جد هذه الفئة الحضرمية .

المقــــاطرة

المقاطرة قبيلة كبيرة معروفة بالنجدة والبأس وفيهم برود غريب يكمن وراءه المكر والدهاء ، وينتابهم نفور وحشي من بعضهم بعضاً لعله غريزة متغلغلة فيهم توارثوها عن أسلافهم . ومن صفاتهم الحميدة الشجاعة والكرم ، وسكناهم فى الأودية والجبال . ولهم حصن عظيم أشبه بحصن السموأل بن عاديا من حيث العزة والمناعة . ويسمي السموأل حصنه الأبلق الفرد ، وهو جبل شامخ وليس له الا طريق واحدة . ويقول فيه صاحبه[1]

لنــا جبل يحتله من نجيره عزيز يرد الطرف وهو كليل

أما الحصن الذى نحن بصدده فمشهور بقلعة القطري وقد حاصره عاصم باشا[2] مدة طويلة ففشل فى فتحه .

ولدينا مخطوطات عبرانية تاريخية اتضح لنا منها ان هذا الحصن كان فى منتصف القرن الثــانى للميلاد لقطري اليخطيب وهو الرجــل الحميري الغني وكان يعرف بالخولي[3] قطري اليخطيب . ولعلهم كانوا

(١) هو السموأل بن عاديا العربي اليهودى . (٢) قائد من قواد الترك .
(٣) كان هذا اللقب يطلقونه على نائب الزعيم أو خليفته .

يطلقون لفظة خولي على من كان زعيماً أو رئيساً لأنها تظهر قبل كل اسم لرجل عظيم ، ومثلها لفظة «المسموع له» . وكانت مقاطعات الخولي قطري اليخظيب تبتدئ من حيث الحصن المذكور وتنتهي عند سيف المخاضة ، وكانت له سفينتان عظيمتان تتاجر بين الشواطئ العربية والشواطئ الأفريقية .

والمخاضة المذكورة كانت بين أفريقية وبلاد العرب وهي باب المندب الآن وانما انفرجت هذه الثغرة الواسعة بحدوث زلزال عظيم . ولا بد أن أفرد نسخة تكونُ مستقلة بهذه المخطوطات التي تثبت صدق هذه المزاعم عند ما أفرغ من هذا الكتاب ان شاء الله .

وكان للخولي قطري ثلاثة أولاد وهم المسموع لهم شرجب وحوشب والاغريض . ولا توجد فى اليمن بأسرها قبيلة باسم الاغريض فمن المحتمل أن يكون مات فى حداثته أو عاش عقيماً مقطوع النسل . وفى العام السبعين من القرن الثانى للميلاد سافر الخولي قطري الى القدس زائراً وفى عودته اصطحب رجلاً صالحاً يدعى بلعام الأدومي فلما استقر فى حصنه أقطع بلعام وادياً خصباً فسماه مدعس أدوم . وقد أخذ الخولي التوراة والزبور والانجيل عن «الرسول بلعام» . وقد لبث هذا الرجل الصالح طيلة حياته راهباً متقشفاً ، وكان عرب تلك المقاطعة يتبركون به ويفزعون اليه فى كوارثهم ، وكانت البلاد التى تسكنها الآن شرجب ومذحج والأقدوس من هذه المقاطعة المذكورة .

أما «قدس» فقد وجدنا أنه اسم لصنم سوف نذكره فى الجزء

الثانى ان شاء الله[١].

وتوجد فى قدس فئة صغيرة تسمى الزبيرة وبلادهم بلاد الزبيري ويدعون انهم من ذراري الزبير بن العوام وهذا محض ادعاء ليس الا. وكان عامل الرشيد على المدينة واليمن الزبيري من ولد مصعب بن عبدالله بن ثابت العالم النسابة ولم يكن من ولد الزبير بن العوام . ومثله القاضي احمد بن لطف البارى الزبيري ولم يدع أنه من ولد الزبير . وسنأتى على ترجمته وشيء من أشعاره فى الجزء الثانى ان شاء الله[٢].

والأدومي لا يصح الحاق نسبه ببلعام الأدومي لأن هذا الرجل الصالح عاش متنسكاً ومات أعزباً ، يضاف الى ذلك أنه من ولد أدوم وأدوم من اسحاق بن ابراهيم عليه السلام . أما اليمنى الأدومي فمن يعرب بن قحطان وقحطان من ولد سام بن نوح عليه السلام .

جبل صبر

اقتضى ترتيبنا أن نقدم فى هذه الجهة جبل صبر وهو الجبل الذى تحتله الأصبور وهو غني بالمياه العذبة وفيه شجرة القات الخطرة التى من نتائجها المصائب الجسمانية والكوارث العمرانية . لأن تعاطي وريقاته يسبب الاختلالات العقلية والانفعالات النفسية كما هو مشهود

(١) قدس تمثال من المرمر من مآثر اليمن .
(٢) أرجو أن يحوز الجزء الثانى إعجاب الكثيرين .

فى الحبشة واليمن وهو من السموم البطيئة التـأثير . وسنورد ذكر مضاره ونتيجة تحليله فى الجزء الثانى ان شاء الله .

وفى هـــذا الجبل رجل يدعو الى الطريقة الجيلانية[١] وقـد اجتمعت به فحدثنى حديثـاً طويلاً عـديم الأهمية وقال لي أنه من ذرية السيد عبدالقادر وأن جده جاء من بغداد مهاجراً الى اليمن . لعله السيد العالم الحسين الجيلانى البغدادي القادم الى صنعاء اليمن فى سنة ١٢٣٦

قال جامع ديوان السيد العلامة محسن بن عبدالكريم بن اسحاق يتصل نسبه بالشيخ عبدالقادر الجيلانى المشهور وكانت لهذا السيد معرفة بجميع العلوم الحكمية وله فى الطب يد طولى واتقان تام ومعرفة بالنبض واطلاع على أصول الفقه وفروعه وعـلم الحديث وجميع علوم الآلة وله سليقة عجيبة فى الشعر مع لطف طبع وحسن سمت . ولما قـدم صنعاء مكث بهـا مدة ثم عزم منهـا الى استانبول ثم عاد الى صنعاء فى سنة ١٢٤٦[٢].

وكتب اليـه السيد محسن عبدالـكريم بعـد قدومه الأول الى صنعاء

ثنـا البرق رمحاً فى السما وتألقـا ☆ فشقق اكتاف السحاب ومزقا
وسارت جيوش السحب تحت لوائه ☆ وهينم صوت الرعد فى الجو مخفقا

ومنها :

كأن لهـا علمـاً باشراق طلعة الحسين علينا فهي تزدان للقـا

....

(١) هو السيد حزام الجيلاني الصبرى . (٢) طبق الأصل

كريم له وصف الكمال مفرقـاً ✲ فجمع من أوصافـه ما تفرقـا
تمكن من بحبوحة المجد أصله ✲ فطال سمواً فى السماء وأورقـا
أديب اذا هز اليراع بنـانه ✲ تساقط من أوراقه الدر مونقـا
حكـيم اذا نال السقيم دواءه ✲ ينـال من الله الشفاء المحققـا
كأن لديه للأنـــامل مسمعاً ✲ تعلم من نبض الشرايين منطقـا
رياضي خلق والريـاضي فنـه ✲ أحـاط به كماً وكيفاً وحققـا
لطيف له عـلم اللطيف سليقة ✲ اذا ما تعـــاناه سواه تخلقـا
الاهي أفـكار طبيعي عفـة ✲ تسربل سربال المكارم والتقى
فأهلاً بعصر قـد قضى الله جمعنا ✲ به ورأينـا بدره فيه مشرقـا
ولا زال محفوفـاً بـأسنى تحية ✲ وأزكى سلام ثابت العز والبقـا

وكتب اليه أيضاً يستدعيه الى الروضة[1]:

أهلاً بكم عاد اذا عدتم لنا السعد ✲ واهتز عطف الأمانى وانثنى القد
وكادت الروض أن تبدي نضارتها ✲ عوداً على البدء لـكن صدها البرد

فأجاب السيد حسين الجيلانى بقوله :

يامرحبـاً بنظام قـد أتى يحدو ✲ الى رياض الأمانى جادهـا العهد
وكادت النفس من حر الغرام بها ✲ تذوب شوقاً ولـكن صدها البرد

وأجاب صاحب الترجمة أيضاً عن القصيدة الأولى بقوله :

سقاك وما يسقي العميد اذا استقى ✲ لريم ثوى بين الأجارع والنقـا
واهـدى به مرعى لغزلان حاجر ✲ ومجتمعـاً للغـانيـات وملتقى

(١) شبه مدينة بقرب صنعاء

عفت آيه صبا الشمال وأخلقت ✲ علاه الجديدان اللذان تخلقا
عبرت به فاستعبرت بى نكاية ✲ وشاهدت منه ما أراع وأفرقا
اجما البكاء يا مقلتي فانني ✲ على موعد للبين لن يتحققا
ولكن رأيت العيس يحدج للسرى ✲ فاثرى الثرى من أدمعي اذ تفرقا
وأبدى بهذا الدمع أحمر قانياً ✲ وأنت تراه اليوم أبيض أيققا
فليتهم والحال ما قد شرحته ✲ رثوا لاحتمالي فيهم شقة الشقا
غفرت لأيام مواضي ذنوبها ✲ اذا طلعت ما بيننا شامة اللقا

قال الشجني فى التقصار : بلغ المترجم من هذه القصيدة الى هذا المحل وعاقه عن اكمالها الارتحال ، ولو لم يكن له من النظم الا هذه القطعة لسمي شاعراً . انتهى[١].

قلت لست متأكداً من ان السيد الجيلانى صاحب «جبل صبر» ذكر لي اسم جده لأن اجتماعي به كان قصيراً وعديم الأهمية .

ذكرنا قبل هذا ان شجرة القات موجودة فى هذا الجبل الأخضر بل فى مواضع كثيرة من اليمن سنذكر البعض منها فى هذا الجزء .

ولكن كيف وجدت هذه الشجرة فى البلاد اليمنية ؟

بصرف النظر عن الروايات الباردة ، ان هذه الشجرة ليست طبيعية الوجود فى البلاد اليمنية . ولو كانت كذلك لوجدت فى القارة الآسيوية كلها أو قل على الأقل فى القطر العربى بأسره . ولكن هذه الشجرة موجودة فى بلادين منفصلتين وفى جوين متناقضين وهي

«١» عن نيل الوطر .

بلاد الحبشة والبلاد اليمنية العربية . فأيهما التى أخذت هذه الشجرة عن الأخرى ؟ أقول ان الاستنتاج المعقول والحكم الصحيح[1] هو أن هــذه الشجرة نقلت من بلاد الحبشة الى بلاد اليمن بدليل أن الأحباش استعمروا البلاد اليمنية ردحاً من الزمان فمن الواجب استجلابهم لها من بلادهم لولعهم بها .

ثانياً ان القات الموجود فى اليمن ضعيف فى عشبه ومفعوله بسبب غربته وانتقاله من طينته الموافقة لطبيعته بعكس القات الموجود فى وطنه . فالقات الموجود فى بلاد الحبشة جيد النبت جميل العشب قوي المفعول . وخذ مثلاً فى هذا عن أجسام الحيوان : مثلاً اذا جاء رجل بدوي حميري أبيض الأسنان أخمص البطن ودخل مدينة تعز وتزوج فيها فلا بد أن يأتي ولده أصفر الأسنان منتفخ البطن واذا تجاوزت الطبيعة ولده فلا تفلت حفيده . أو اذا سافر رجل عربى الى زنوج أفريقية وتزوج منهم فلا بد أن يأتي نسله معكوساً ، وهذا مشاهد ومثبوت لامرية فيه .

ثالثاً ان من المواضع التى توجد فيه أشجار القات فى اليمن موضع يسمى جبل حبشي وموضع آخر يسمى بلاد النجاشي والنجاشي هو نجاشي الحبشة وهو تحريف «نجوس» أي ملك أو تحريف «دجاش» أي قائد جيش باللغة الحبشية ، ومعروف فى العرب تحريف

«١» وللاستاذ عبدالرحيم لقمان كلمة فى شجر القات ألقاها أثناء محاضرته فى «مخيم أبى الطيب» سنوردها فى الجزء الثانى .

الأسماء الأجنبية كتحريفهم اسم «رودريك» بلوذريق و«افرنسة» بافرنجة . واسم شجر القات عند الأحباش «جما»[١] . وقبل أن تتوغل الديانة المسيحية فى الحبشة كانت هذه الشجرة من الآلهات المعبودة عند بعض الأحباش !! وكانت حفلة الزار من الطقوس التى تقام لقداس هذه الشجرة !!

من هذه الأدلة التى لا تقبل جدلاً ثبت لدينا انتقال هذه الشجرة وطقسها الديني المعروف بالزار الحبشي من البلاد الحبشية الى البلاد اليمنية الطاهرة . وقد أغرم بهذه الشجرة الخبيثة الشعب اليمنى عن بكرة أبيه رجالاً ونساء وقد مدحتها العظماء بأشعارهم كالسيد حاتم صاحب المخا المشهور بخوارق العادات . ومن بعض أقواله فيها فى حال نشوته منها قوله[٢] :

صفت وطابت بأكل القات أوقاتي ❊ وأشرقت من سناه نور مشكاتى
زبرجد من غصون فاق مطعمها ❊ على الفواكه مع كل الحلاوات
أما ترى قلم الرحمن خط على ❊ أوراقه شبه رسم للجلالات
أتى به الخضر المشهور يحمله ❊ من بلدة الصين من خير الهديات
أهداه حقاً لذي القرنين حين شكوا ❊ أصحابه وخماً فى بعض أوقات
من بعد ما أكلوه زال سقمهم ❊ وأصبحوا فى مسرات وصحات

مبالغة ووصف لا ينطبق على معنى القات . فليت شعري من

---

(١) اللفظة «غتية» .
(٢) والغريب ان هذا الرجل مع شهرته لم يذكره مؤلف «نيل الوطر» .

أين للسيد حاتم هذا التاريخ المجهول الذي لم يأت ذكره لا فى التواريخ الشرقية ولا الغربية ؟ ولـكن هذا النقد تافه بالنسبة الى هـذا السيد العظيم المشهود له بالـكشف والالهام ! غير أن الصين تنكر ذلك لعدم وجود أشجار القات فيها .

وهـذا الانكار لا يعد أداة صالحة للانتقاد على هذا السيد الجليل فلربما اكتشف الصينيون السالفون مضار القات فتآمروا على استئصاله من أراضيهم وتم لهم ما أرادوه . وهناك أداة أخرى تصلح للانتقاد ولـكنها قابلة للنقض فلا وسع لنا أن نضرب صفحاً عن ذلك .

وقد أغرم الصوفيون بها غراماً مبرحـاً حتى انهم سموها قوت الصالحين ويسميها بعض المولعين بهـا شجرة الخلد وهو الاسم الذي ينطبق عليها تماماً أو شجرة المعرفة كما ذكرتها التوراة فى سفر التكوين

وقد وصف هذه الشجرة صاحب الجلالة مولانا أمير المؤمنين عمره الله وصفاً بديعاً يتخلله المدح والاعجاب فى أبيات آية فى البـلاغة أوردُ فيها جلالته هذا البيت

وللثغور خضاب زمردي مـذاب

تتجلى روعة الأسلوب الشعري البديع فى هـذا البيت الرصين أما بقية الأبيات فكلها سحر واغراء . وأذكر أن صديقاً لي من الأدباء كان يمقت هذه الشجرة ويسخر من الذين يتمضغون أوراقها وكم كان يعنفنى عليها ويزجرنى عن تعاطيها ولـكن سحرها كان أقوى وأقدر . ولما اطلع هذا الصديق على قصيدة مولانا أمير المؤمنين متعنا الله ببقائه

أقبل على تعاطي القات برغبة جامحة واذا به قد أصبح ضحية مثلي .
ومن قصيدة مولانا هـذا البيت الذي أقف عند قراءته كالمأخوذ قوله حرسه الله :

ويشحذ الفكر حتى يخشى عليه التهاب

ان هذا البيت شمل مجمل العلوم والفنون الحديثة !!!

وأقول مع احترامي وخضوعي للأعتاب الهاشمية ان جلالة مولانا أمير المؤمنين لو كان سمح ببيت يضمنه صورة صحيحة لرد الفعل بعد هذا البيت الفريد لبلغت القصيدة الى درجة الكمال من طريق أجمل من هذه الطريق التى اجتازتها اليها .

مدينة تعز

بعد أن انتهى القول عن «جبل صبر» رأينا أنه من الأقرب للترتيب أن نبتدئ بالكلام عن «مدينة تعز» لاتصالها بالجبل المذكور. وهي مدينة قديمة مشهورة قد أتى عليها البلى ، وموقعها فى أحضان جبل صبر وفيها الجامع المشهور الذي بناه المظفر وفيها حمام واحد لبعض الأهالي المالكين . وهي مدينة موبوءة وذوو العاهات فيها كثيرون ، ويتميز أهلها عن سواهم بانتفاخ بطونهم وسواد أسنانهم ويرجع سبب ذلك الى رداءة الجو وخبث المناخ . ومياه هـذه المدينة آسنة تتعظم فيها «البكتريا» وتسمن حتى تصير الواحدة منها فى حجم

معــدة العصفور وتسميها الأهالي «علقــاً» وهي شغوفة بمص الدماء حتى ان رجال الهندو يحفظونهــا فى قناني يجعلون فيهــا ماء وشيئاً من السبخ فاذا أرادوا حجامة سيقانهم يطلون سيقانهم من ذلك المــاء ثم يخرجون عدداً كافيــاً منهــا فيضعونها على سيقانهم فتمتص الدم حتى تنتفخ أوساطها .

وفى هذه المدينة سوق جامع تجتمع فيه بعض القبائل المجــاورة والبعيدة للبيع والشراء والمبادلة وتنزل اليهــا أنواع الفواكه والبقول من جبل صبر المشرف عليها ومن غيره أيضاً .

وفيها ضريح جدير بالذكر هو ضريح القاضي العلامة عبدالله بن محمد بن عبدالله العنسي الصنعانى مولده تقريباً فى عام ١١٩٠ أخذ العلم عن صنوه الحسين بن محمد والقاضي يحيى بن علي الشوكانى وأخذ عن القاضي محمد بن علي الشوكانى فى بعض مؤلفــاته وفى المعــانى والبيان والتفسير وفى البخاري ومسلم وسنن أبي داؤود . وأخذ عن غيرهم من العلماء فى صنعاء . وقد ترجمه الشوكانى فى البدر الطالع فقال :

استفاد لا سيما فى العلوم الآلية وهو حسن الادراك جيد الفهم قوي التصور . وله فى الصلاح والعبادة مسلك حسن وله فى حسن الخلق والتودد وحفظ اللسان ما لا يقدر عليه الا من هو مثله . وقال الشجني فى التقصار : تولى صاحب الترجمة فى سنة ١٢٣٨ القضاء فى مدينة تعز وكان من أورع النــاس فى الدرهم والدينار قليل النظير فى زمانه واستمر قاضياً حتى مات بتعز فى عام ١٢٤١ عن احدى وخمسين

سنة رحمة الله ورضوانه عليه وعلى جميع المؤمنين آمين .

وفى تعز أيضاً ضريح القاضي العلامة احمد بن علي بن حسين بن علي بن احمد السماوي . قال مؤلف مطلع الأقمار بذكر علماء ذمار أخذ العلم عن القاضي عبدالقادر بن حسين الشويطر والقاضي علي بن احمد الشجني بمدينة ذمار ثم هاجر الى صنعاء فلبث بها نحو أربعة عشر سنة وأخذ بها عن القاضي العلامة احمد بن محمد قاطن والقاضي اسماعيل بن يحي الصديق والسيد احمد بن محمد اسحاق وغيرهم وتولى القضاء بصنعاء مدة وكان عالماً نبيهاً أديباً أريباً كامل المروءة كثير المطالعة حافظة للتاريخ ثم تولى القضاء فى ناحية خبان من بلاد يريم وفى وصاب وبلاد حبيش وفى مدينة ذمار ثم فى تعز وتوفى حاكما فيها سنة ١٢١١ رحمة الله عليه ورضوانه آمين .

وفيها ضريح القاضي العلامة الفهامة الحسن بن محمد بن صالح السحولي اليمني الصنعانى مولده ١١٩٠ أخذ العلم عن السيد الحسن بن يحي بن احمد الكبسي فى علم الحديث وعن القاضي الحسين بن محمد العنسي فى ضو النهار على الأزهار للجلال وفى علوم الآلة وعن القاضي محمد بن علي الشوكانى فى كتب الحديث وبعض مؤلفاته وكان صاحب الترجمة عارفاً بالفروع والفرائض معرفة كاملة مشاركاً فى العربية والأصول وله من لطف الشمائل ورقة الطباع وكرم الأخلاق ما لم يكن فى غيره من أهل عصره مع كرم فياض يجود بما يمكنه ويملكه . ولما كتب اليه السيد العلامة علي بن عبدالله الجلال قصيدته النونية أجاب على

لسانه السيد العلامة يحي بن المطهر بن اسماعيل بقصيدة أولها :

سلا هل سلا قلبي عن الرشأ الغانى * وان طاوع العـذال في وألغـانى
وهل قدجرت فى الحب مني جناية * بلى قلبي الجانى الى الحب أجانى

ومنها :

رجوت خلاصي من هوى ريم حاجر * ونصحك عنه فى المحبة أردانى
ونصحك مقبول وأمرك طاعة * فمن أين للمشتاق تجـديد سلوان
اذا شمت برقاً فى الحمى خلت أنه * تبسم من أهواه من أهل نعمان
ركائب شوقي فى ذهاب اذا سرى * وتطبيقي الأجفان فيهن أعيـانى
الى الفخر من ألقى القريض عنانه * اليـه فمـا جاراه قاص ولا دانى
الى الفرد معدوم النظير ومن الى * بدائعـه تنمي بدائـع حسان
الى الندس من صاغ النظام الذى غدا * بجـيد لييـلاتى قـلائد عقيان
بلى بل الى من نظم الأنجم التي * تنير فيهدي نورها كل حيران

وكان صاحب الترجمـة شيخاً فى كتاب الله تعـالى عاملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقيداً بما صح له من الدليـل . تولى القضاء بمدينة تعز ولم يزل فيهـا حتى مات حا كماً هنالك فى عام ١٢٣٤ رحمة الله ورضوانه عليه آمين .

ويقع على نشز من المدينـة ضريح الشبزـي الأديب الشاعر الاسرائيلي (١) ويشترك بعض العرب واليهود فى الشغور نحوه سنورد ترجمته وشيئاً من شعره فى الجزء الثانى ان شاء الله .

(١) له كرامات وخوارق يتبركون به اليهود وبعض المسلمين .

«وجبل حبشي» يبعد عن هذه المدينـة بنحو احد عشر ميلاً وفيه أشجار القـات وقـد جئنا عليه وفيه أنواع الفواكه والحبوب والبقول ويسكنه قوم يلقبون بالأحباش . وعلى مقربة من هذا الجبل قرية الرمادة وسكانها قوم يرجعون الى الفخذ الحبشى المذكور . والى جانب هـذه القرية «الصراهم» ضريح سيدي الشيخ حسان بن سنان شيخ الطريقة الشاذلية المشيشية رحمة الله عليه ورضوانه ويقيم فيهـا ولده صاحب النيافـة الشيخ محمد بن حسان نفعنا الله به آمين . وله نهر معدنى مقدس تأتى اليه النـاس للتبرك والاستشفاء . وفى مدينة «لورد» من فرنسا نهر معـدنى كهذا ويسمى نهر القديسة «هيلانة» يحج اليه الافرنسيون وغيرهم من البلاد المجاورة بنية الاستشفاء والتبرك.

جميلة هـذه المشابهات ، فهي من بنـات توارد الخواطر التي تثبت وحدة مصادر الالهام .

ولـكي نتخلص من هذا البـاب نقول ان الهجدي والرمادي والحبشي والـكلبي والنجاشي يتحـدون فى الأذواق والعـادات واللهجات الـكلامية وهيئة الأجسام ، فيستنتج من ذلك أنهم جميعاً يعودون الى نخذ واحد . والنجيشة فئة صغيرة داخلة فى بلاد المقطرى وهم عرب قحطانيون عريقون ما مازج دمهم دماً حبشياً قط . وهذا الاسم هو لقب غلب عليهم منذ اكتساح الأحباش لليمن . ومنهم قيس بن عمرو الحـارثي اليمنى النجاشى كان شاعراً فصيحاً وهجاءاً خبيثاً . وقع الشر بينه وبين العجلانى تميم ابن أبى مقبل فهجاهم

النجاشي بقوله[١] :

اذا الله جازى أهل لؤم وخسة * فجاز بني العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغـدون الا بذمـة * ولا يظلمون النـاس حبة خردل
ولا يردون المـاء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * وتأكل من كعب بن عوف ونهشل
وما سمي العجلان الا لقيلهم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل
أولئك اخوان اللعين وأسرة الـ * هجين ورهط الواهن المتذلل

فلما قال ذلك استعدوا عليه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فحبسه اهـ .

بني شيبة

هذه القبيلة تعد نخذاً كبيراً من أنخـاذ الحجرية تتفرع منهـا القبائل الآتية : الزعازع والزريقة والسويقة والمساحون والمقارمة والبذيجة وبنوعمر والكويرة والظريفة والمخاولة . وسادات هذه القبيلة هم الغويرة ويسكنون بلاد السويقي وهم رجال صالحون ولهم كرامات مشهورة . وكان على هذه القبائل فى عهد تركيا السيد أويس ابن السيد علي الغوري وكان من خـيار الغويرة وصلحائهم ذا بيـان وفصاحة ولسن وكان مستقيم الطريقة محباً للعدل مبغضاً للظلم . ثم خلفه في العهد الهاشمي المنير نجله السيد عبدالرحمن بن أويس وهو سيد

---

(١) طالع البيان والتبيين .

جليل نبيل ذو فصاحة وبيان محبب الى الناس تتبرك به القبائل المذكورة وتطيعه طاعة عمياء . وهذه القبائل تختلف عن قبائل الحجرية باعتدال المزاج وخفة الروح لا تفارق البشاشة وجوههم وهم لينون اذا لاينتهم قساة اذا أنكرتهم ، لا يعرف فيهم جبان ولا سفلة ويرجعون فى مشاكلهم الى الغويرة لما يعتقدون فيهم من النزاهة والصلاح وحب الخير(١).

ومن العوائد التى ورثوها عن أسلافهم حمل العصي ، فهم لا يكادون يفارقونها فى غدوهم ورواحهم وحلهم وترحالهم . وهذه العادة من سمات العرب العتيقة وقد تأصلت فيهم حتى طبعوا عليها . وفوائد العصي وفضائلها أكثر من أن تحصى . وقد رأينا أن ننقل خلاصة ما كتب فيها تحلية للكتاب .

قال أبو عثمان : اذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الأوساط والصغار ما لا يحصيه أحد . واذا فرقت ففيها مثل ما ذكرنا وأكثر . وفى قول موسى عليه السلام «ولي فيها مآرب أخرى» دليل على كثرة المرافق فيها لأنه لم يقل ولي مأربة أخرى والمآرب كثيرة . وكثير من الناس لا يستعملون فى القتال الا العصا منهم الزنج والهندوس والنبط ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة . وأثقف ما تكون الأكراد اذا قاتلت بالعصي . والناس يضربون المثل بقتال البقار بقناته ويقال فى المثل «ما هو الا ابنة عصا أو عقدة رشا»

(١) عن السيد عبد السلام الغورى

النجاشي بقوله[1]:

اذا الله جازى أهل لؤم وخسة * فجاز بني العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدون الا بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون المـاء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * وتأكل من كعب بن عوف ونهشل
وما سمي العجلان الا لقيلهم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل
أولئك اخوان اللعين وأسرة الـ * هجين ورهط الواهن المتذلل

فلما قال ذلك استعدوا عليه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فحبسه اهـ .

بني شيبة

هذه القبيلة تعد فخذاً كبيراً من أفخاذ الحجرية تتفرع منها القبائل الآتية : الزعازع والزريقة والسويقة والمساحون والمقارمة والبذيجة وبنوعمر والكويرة والظريفة والمخاولة . وسادات هذه القبيلة هم الغويرة ويسكنون بلاد السويقي وهم رجال صالحون ولهم كرامات مشهورة . وكان على هذه القبائل فى عهد تركيا السيد أويس ابن السيد علي الغوري وكان من خيار الغويرة وصلحائهم ذا بيان وفصاحة ولسن وكان مستقيم الطريقة محباً للعدل مبغضاً للظلم . ثم خلفه فى العهد الهاشمي المنير نجله السيد عبدالرحمن بن أويس وهو سيد

(١) طالع البيان والتبيين .

وأنت بذات السدر من أم سالم * ضعيف العصا مستضعف متهضم

وقال الآخر :

وما صاديات حمن يوماً وليلة * على الماء يخشين العصي حوانى

لوائب لا يصدرن عنه بوجهة * ولا هن من برد الحياض دوانى

يرين حباب الماء والموت دونه * فهن لأصوات السقاة روانى

باوجع منى جهد شوق وغلة * اليك ولكن العدو عدانى

وقال الآخر :

فما وجد ملواح من الهيم حلئت * عن الماء حتى جوفها يتصلصل(١)

تحوم وتغشاها العصي وحولها * أقاطع أنعام تعل وتنهل

باعظم منى غلة وتعطفاً * الى الورد الا اننى اتجمل

ويقال للرجل اذا كان فيه ابنة «فلان يخبا العصا»

وقال الشاعر :

زوجك زوج صالح لكنه يخبا العصا

وفى الأمثال : تحذفه بالقول كما تحذف الأرنب بالعصا . وقال اياس بن قتادة العبشمي :

سأنحر أولاها وأحذف بالعصا . على أثرها اني لما قلت عازم

ولأهل المدينة عصي فى رؤوسها عجر ومعقوقفة الرؤوس كالعصي العدنية لا تكاد أكفهم تفارقها اذا خرجوا الى أعمالهم أو منتزهاتهم ولهم فيها أحاديث حسنة وأخبار طيبة .

(١) من يبوسته

ومن فوائد العصا على وجه الاجمال انها تحمل للحية والعقرب والذئب والجمل الهائج ويتوكأ عليها الكبير الدانف والسقيم المدنف والأقطع الرجل فانها تقوم مقام رجل أخرى . قال اعرابى مقطوع الرجل

الله يعلم انى من رجالهم * وان تحدد عن متنى أطهاري

وان رزئت يداً كانت تجملني * وان مشيت على زج ومسمار

وهي تنوب للأعمى عن قائده ومحراك للتنور . قال الشماخ :

وجر شواء بالعصا غير منضج

ولخبط الشجر وللفيج[1] وللمكاري فانهما يتخذان المخاصر وهي تعدل من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المبرسم ويتخذها الراعى لغنمه والراكب لمركبه . هذا الوصف لفضائلها اذا كانت صحيحة أما تفاريقها فهي أكثر فضائلاً وأعظم فوائداً ومنافعاً وسنأتى عليها فى الجزء الثانى ويكفي دليلاً على عظم غناء العصا وشرف حالها اختطاب النبي صلى الله عليه وسلم بالقضيب وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء وسليمان عليه السلام كان لا يفارق عصاه وهي منساته التى ذكرها الله فى القرآن .

وعن جرير بن قيس قال : قدمت من المدائن بعد ما ضرب علي ابن ابى طالب[2] رضي الله عنه فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لي ما الخبر ؟ قلت ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من

---

(١) السجان . (٢) ضربه أحد الخوارج وهو عبدالرحمن بن ملجم .

أيسر منها ويعيش من أشد منها قال لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه .

حكاية الفتى التغلبي وعصاه

قال الشرقي : خرجت من الموصل وأنا أريد الرقة[1] مستخفياً وأنا شاب خفيف الحال فصحبنى من أهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله فذكر أنه تغلبي من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مزود وركوة وعصا فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه أرمي بها فى بعض الأودية فكنا نمشي فقلت له فى شأن عصاه فقال لي ان موسى بن عمران عليه السلام حين أنس من جانب الطور ناراً وأراد الاقتباس لأهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة الا ومعه عصاه . فلما صار بالوادي المقدس من البقعة المباركة قيل له ألق عصاك واخلع نعليك حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكي وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته فى عصاه ثم كلمه من جوف الشجرة ولم يكلمه من جوف انسان ولا جان . قال الشرقي انه ليكثر من ذلك وانى لأضحك متهاوناً بما يقول . فلما برزنا على حمارينا تخلف المكاري عنا فكان اذا تلكأ حماره أكرهه بالعصا وكان حماري لا ينساق وليس لدي ما أكرهه به فسبقنى الفتى الى المنزل فاستراح واراح ولم أقدر على البراح من مكانى حتى وافانى المكاري فقلت هذه واحدة .

---

(١) الموصل والرقة من العراق .

فلما أردنا الخروج لم نقـدر على شيء نركبه فكنا نمشي فكان اذا أعيا توكأ على العصا حتى انتهينا الى المنزل فقلت هذه ثانية . فلما كان اليوم الثالث ونحن نمشي فى أرض ذات أخافيق وصدوع اذ ظهرت لنـا حية منكرة فساورتنا فلم تكن لي حيلة الا اسلامه اليها والهرب منها ولكن الفتى ضربها بالعصا حتى وقذها[1] ثم ضربها الثانيـة فقتلها فقلت هذه ثالثة وأعظمهن . فلمـا خرجنا فى اليوم الرابع قرمت والله الى اللحم وأنا هارب معدم اذ أرنب قد اعترضت فحذفها بالعصا فما شعرت والله الا وهي معلقة وأدركنا ذكاتهـا فقلت هـذه رابعة . وأقبلت عليه فقلت له لو ان عندنا ناراً لمـا أخرت أكلها الى المنزل قال فان عندك نـاراً وأخرج عويداً من مزوده ثم حكه بالعصا فأورت ايراءاً المرخ والعفار عنده لا شيء ثم جمع ما قدر عليه من الغثاء والحشيش وأوقد ناره وألقى الأرنب فى جوفها فلمـا نضجت أخرجها وقد لزق بهـا من الرماد والتراب ما نغصها الي ثم انه علقها بيده اليسرى وضربهـا على أعراضها وجنوبها بالعصا ضرباً رقيقاً فانتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس فقلت هذه خامسة . ثم انا نزلنا فى بعض الخانات واذا البيوت ملأى روثاً وتراباً وكان نزولنا بعقب جند وخراب متقدم فلم نجد موضعاً نظل فيه فنظر الفتى الى حديد مسحاة مطروحة فى الدار فجعل العصا نصاباً لها ثم قام فجرف بهـــا جميع ذلك الروث والتراب وجرد بها الأرض جرداً حتى ظهر بياضها وطاب ريحها فقلت

«١» حبس حركتها .

هذه سادسة . وعلى أي حال لم تطب نفسي أن أضع طعامي وثيابى على تلك الأرض فقام الفتى ونزع العصا من المسحاة ووتدها فى الحائط وعلق ثيابى عليها فقلت هذه سابعة . فلما صرنا على مفرق الطرق وأردت مفارقته قال لي لو عدلت معي فبت عندي كنت قضيت حق الصحبة والمنزل قريب ، فعدلت معه فأدخلنى فى منزل يتصل ببيعة وما زال يحدثنى ويطرفنى ويلطفنى الليل كله . فلما كان السحر أخذ خشبة وأخرج تلك العصا وقرعها فاذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله واذا هو أحذق الناس بضربه فقلت له أما أنت مسلم عربى من ولد عمرو بن كلثوم ؟ قال بلى قلت فلم تضرب بالناقوس ؟ قال جعلت فداك ان أبى نصرانى وهو صاحب البيعة وهو شيخ ضعيف فاذا شهدته بررته بالكفاية واذا هو شيطان مريد واذا أظرف الناس كلهم وأكثرهم أدباً وطلباً فخبرته بالذي أحصيته من خصال العصا بعد أن كنت هممت أن أرمي بها فقال والله لو حدثتك عن مناقب نفع العصا يوماً كاملاً لما استنفدتها . انتهى

وكانت العصا أول دليل على وجود الكهرباء فى الأجسام .

وقال الله تبارك وتعالى «واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر» الآية . وحمل العصا عند عرب اليمن قاطبة من الحاجات الضرورية ويسمونها العصا اذا كانت أطول من المخصر و«عود الحطيب» اذا كانت قناة و«صميلاً» اذا كانت هراوة . يقول الأصمعي :

أعددت للضيفان كلباً ضارياً وهراوة مجلوزة من أرزن

وهذه القبائل التي نحن بصددها من العرب الفصيحة التي تنطق بجميع مخارج الحروف الحلقية بدون تكلف وعناء . ومن هذه القبائل من يندفعون فى التكلم اندفاعاً كالكوري والبذيجي والشيبانى لأن فى كلامهم عجلة وفى أصواتهم نبرات حسنة . يقول فى مثلهم سلمة بن عياش :

كان بنى رالان اذ جا جمعهم فراريج يلقى بينهن سويق

قال ذلك لرقة أصواتهم وعجلة كلامهم . اهـ[1]

دبع

الحكاؤن قصة الأربعين ظهور الآلهة فى عدن كلمة من تاريخ أسود

هي قبيلة كبيرة من قبائل الحجرية وتتفرع منها الدقيمة والشمئيون والزجيمة واليفوع والأخور وبنى حماد . ورجال هذه القبيلة باردو المزاج وفيهم حدة طبع مكتومة وهم ذوي مقالب ظريفة ونكت رنانة وفكاهات مستملحة ولهم نوادر طريفة مضحكة تضحك الثكلى . وهم متمسكون بتقاليدهم وعوائدهم على الرغم من نزوعهم الى المدنية الحديثة . وتراهم يستعملون فى نوادرهم هيئة الجد ومظهر الوقار ومن مزاياهم الطيبة الشجاعة والكرم والسماحة والايثار . وفيهم كثير

«١» طالع كتاب الجاحظ

من الحكائين يقلدون كل ما يسمعونه ويشاهدونه تقليداً صحيحاً وقد رأيت أحدهم يقلد صوت الفأر حتى يهيج القطط ويقلد صوت الوزغ بحذائه حتى يبرزها من الشقوق . ورأيت أحدهم يتكلم اللغة الفرنسية بأربع لهجات حتى يدهش أهلها ويحاكي نغمات المعزف والكمنجة وصوت الطبل بفمه فى آن واحد فلو يعزف بفمه فى غرفة وسمعه أحد من الخارج لخيل له أن فى الغرفة جوقة موسيقية .

والحكاؤون موجودون فى كل أمة . فتجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً وكذلك تكون حكايته للخراسانى والأهوازي والزنجي والهندي وغير ذلك حتى لتجده كأنه أطبع منهم فى لغتهم . أما اذا حكى كلام الفأفأ فكأنما قد جمعت كل طرفة فى كل فأفأ فى الأرض فى لسان واحد . كما أنك تجده يحكي الأعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه لا تكاد تجد من ألف أعمى فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان فى أعمى واحد . ولقد كان أبو ربوبة الزنجي مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ولا متعب بهير الا نهق لنهيقه وقبل ذلك تسمع نهيق الحمير على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك فكأن أبا ربوبة قد جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمير وجعلها فى نهيق واحد ، وكذلك فى نباح الكلاب . ولذلك زعمت الأوائل ان الانسان انما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير لأنه يصور بيده كل صورة ويحكي بصوته كل صوت

ويأكل النبات كما تأكل البهائم ويأكل الحيوان كما تأكل السباع وان فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالاً عديدة . وانما تهيأ الحاكية وامكن بجميع مخارج الأمم لما اعطى الله الانسان من الاستطاعة والتمكن وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه .

ونضيف الى هذا نبذة من نوادر أهل دبع الطريفة :

قيل لبعضهم كيف حالك ؟ فقال الحمد لله على العافية وقلة الرجالة . فقيل له وكيف فلانة ؟ يعنون جدته فقال قصيرة فصعاء مكتوب على جبينها «واها واها»

وقالت امرأة منهم لرجلها : عند ما انشق القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كيف التأم ثانية ؟ ففتح ذراعيه وضمها الى صدره وقال : هكذا

وحدث رجل بمحضر كان فيهم دبعي . وخلاصة حديثه أن رجلاً فيما مضى حملت منه امرأة فلما تم حملها وضعت له أربعين ولداً دفعة واحدة . فما انتهى الرجل من حديثه حتى صرخ الدبعي صرخة ألم أدهشت الحاضرين وجعل يتلوى ويتأوه ويئن أنيناً مزعجاً فأحاط به الناس يسألونه ما الذي أصابه ويرشونه بالماء ومنهم من استدعى سيارة لنقل المصاب الى المستشفى . وأخيراً تكلم المريض وقال اسعفونى يا ناس بالله ارحمونى الطفل تتمة الأربعين تعسر علي خروجه .

فضحكت الناس وخجل المحدث المسكين .

وهذه الرواية التي حدث الرجل بها حادثة تاريخية عربية وقعت حوادثها فى أيام الدولة العباسية لرجل ينتهي اليه نسب القضاة آل أبي الرجال وهو الحسن بن سرح بن يحيي بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ..

قال جحاف وغيره : . ان الحسن بن سرح يجمع نسب القضاة آل أبي الرجال جميعاً وان دخوله الى العراق كان فى أيام دولة بني العباس فسكن الحيرة وكان من أهل العلم والفضل والشجاعة والكرم والصدقات فمال اليه الناس بالاحسان وكانت امرأته من الصالحات الكاملات ولم يرزق منها ولداً الا بعد مدة طائلة . فلما بلغ الولد سنتين جمع الحسن أهل بلاده وكان يملك من الخيل قدر مائة وغيرها فأراد ختان ولده هذا فى يوم عيد عرفة فجلس فى يوم عرفة فى بعض أماكن البيت والولد نائم عنده فقام يصلي فدخل ثعبان من طاقة البيت فلدغ الولد وأدبر . فلما أتم الحسن الصلاة افتقد ولده فوجده ميتاً فصلى ركعتين وحمد الله وأثنى عليه ولم يظهر لأحد ثم دخل على زوجه وقال لها أما تعلمين ان جميع ما نملك من الخيل والرزق والبلاد من الله ونحن وصلنا فقراء ؟ قالت نعم ، قال فاذا أخذ منا كل ما نملك وتركنا فقراء كما كنا ما ذا يكون ؟ فقالت نحمده ونشكره ، قال والولد الذي أعطى كذلك ؟ قالت نعم ، قال فقد استرجع الولد منا فلا تغيري سرور الناس فى العيد واظهري الفرح والسرور وقولي لهم

أجلنا الختان الى يوم آخر فقامت وصلت ركعتين وحمدت الله سبحانه وأثنت عليه وأظهرت السرور وقبر الولد خفية في الليل . ثم ان الحسن المذكور باشر زوجته ليلة ثالث العيد فحملت وولدت له أربعين ولداً ذكوراً في جراب واحد ففرقهم في بلاده فأرضعوهم وعاشوا جميعاً وما مات الحسن حتى ولد له لكل واحد من أولاده المذكورين خمسة أولاد فسمي بأبي الرجال .

ونظير هذا ما ذكره الذهبي في النبلاء في ترجمة أبي عبدالله البجلي . قال : قال البجلي كان ببغداد قائد من قواد المتوكل وكانت امرأته تلد البنات ، فحملت مرة فقال القائد ان ولدت هذه المرة بنتاً قتلتك بالسيف . فلما جلست المرأة للولاد ألقت مثل الجراب وهو يضطرب فشقوه فخرج منه أربعون ولداً عاشوا كلهم ببغداد ركباناً وفرساناً .

ونحوه ما حكاه احمد بن ركانة قال أخبرني الكرماني ان امرأة عندهم بكرمان ولدت كيساً فيه أربعون ولداً عاش أكثرهم وقد رأيت بعض نسلهم يعرفون ببني «الهرش» .

ونحو هذا ما ذكره البريهي عن بعض علماء الحجرية من بلاد المعافر من اليمن الأسفل والله أعلم .

نقول : ان هذه الحوادث جائزة وتحتاج الى تحليل على الرغم مما توصل اليه العلم الحديث من ان نطفة الرجل الواحدة تحتوي على ملايين الجراثيم المنوية الحية وان نطفة واحدة تكفي لتلقيح نساء العالم

كلها . وقد تأسست فى أوستراليا جمعية عظيمة تعرف «بجمعية التلقيح الصناعى» ومبدأ هـذه الجمعية هو تكثير النسل والمشتركات جميعهن يحبلن ويلدن على الدوام . وفى هـذه الجمعية يلقحون بنطفة الرجل الواحد عدداً كبيراً من النساء .

وحدثني صديق ان دبعياً دخل منتدى حافلاً بالناس فوقع نظره على رجل ذميم الوجه أشبه بالقرد منه بالانسان فصرخ الدبعي وتراجع الى الخلف وهو يقول بأعلى صوته آمنت بنظرية دروين ويكررها حتى غادر الباب(١).

وقد أسلفنا بأن الدبعيين يظهرون بمظهر الجد فى نكتهم فتصور مبلغ استغراب الحـاضرين وخجل الرجل المسكين الذي وجهت اليـه هذه النكتة .

وحدث رجل فى جمع من الناس وكان فيهم ثلاثة أشخاص من أهل دبع وتناول حديث الرجل مأساة سعيد بن جبير فى اهانة الحجاج له وقتله . فلما انتهى الرجل من سرد المأساة تأثر الحاضرون فحوقل دبعي من الثلاثة وقال ان هذا الحجاج ملعون لا شريك له ، فقـال الثانى لعنه الله لعنة وقفاً لا تباع ولا تشرى حتى يرث الله الأرض ومن عليهـا وهو خير الوارثين ، فقال الآخر لا تلعنوه فهو بيت اللعنة . لقد جازوه بعض ما هو أهله(٢)

---

(١) وقيل انه غير دبعي . (٢) عندي ان مثل هذا السباب المشين غير لائق برجل له منزلة ومكانة بين عظماء الرجال وانه القـائد الذى وطـد أركان الدولة الاموية ووسع رقعة المملـكة الاسلامية حتى امتدت إلى أقاصي الدنيا . «المصحح»

وفى العام الثامن عشر من القرن العشرين ظهر فى عدن السيد صالح القرمطي وكان مقره فى الشيخ عثمان[١]. ابتدأ أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدعو الناس للمثابرة على أوقات الصلاة حتى أحبه الناس وتتلمذ له بعض الأهالي المساكين فأخذ يستدرجهم الى مذهبه بالتعاليم الدينية ثم انه أخذ يفرض عليهم مناسك أخرى يضيفها الى المفروضات المعلومة . فالتلميذ الذي يثابر على ما يأمره به يظهر له أنه يقربه منه ويفضله عمن سواه حتى يتمكن منه ويرى أن فرصة اصطياده سانحة فيبادر من فوره لاستغلالها فيكشف لذلك العبد الخاضع عن مهيعه الأسود الرذيل . فما يشعر المسكين الا وذلك الشيطان يقول له الآن سقطت عنك جميع المفروضات وأصبحت «إله» مثلي تماماً لك أن تعبد وليس عليك أن تعبد فيصدقه المسكين ويقع فى المصيدة . وقد أوشك أن يفتن خلقاً كثيراً لو لا لطف الله . وقيل ان حميدالدين[٢] صاحب «الخزفار» من تلاميذه . سنورد ذكره فى الجزء الثانى ان شاء الله .

فلما أراد الله فضح أمر هذا الدجال أخذ يقرب اليه رجلاً دبعياً من تلامذته حتى انه أنعم عليه بلقب الألوهية ! وبعد أن منح ذلك التلميذ وسام الربوبية ، وهو عبارة عن كتيب يتضمن صورة البرنامج الذي يسير بمقتضى مواده كل شخص يرقى درجة الألوهية ، جدت

---

(١) مدينة صغيرة تبعد عن عدن ٩ أميال .

(٢) حميد بن علي بن علي المكابرى .

له أمور منعته عن ملازمة سيد الآلهة وتعذر عليه موافاة الحضرة المقدسة ، وكان صاحب الحضرة قد استاء منه . وبعد مضي شهرين كاملين على غيابه وافى الحضرة القدسية وتقدم من سيد الآلهة وهو خجل مطأطئ الرأس . وفى تلك الآونة رفع صاحب القداسة رأسه واذا به يرى «الإله الدبعي» بين يديه فبدت على وجه صاحب القداسة سورة الغضب وثار عليه قائلاً ويلك أيها الشقي ما الذي أخرك عنا طيلة هذه المدة ؟ فتبسم «الإله الدبعي» وقال ببرود يقطر منه السم سبحانى سبحانى ما الذي أشقانى ! وهل يشقى الإله أيها الدجال الملعون ؟ فبهت الذي كفر وكان آخر عهده بالشيخ عثمان . وكان سبب نفيه من بلاد عدن سيدي واستاذي الشيخ عبدالعزيز النمري تغمده الله برحمته ورضوانه والمؤمن الغيور الشيخ احمد بن الهتاري متعنا الله ببقائه . وقد نزح ذلك الدجال الى بلاد يافع من المحميات ونزل بها على آل مفلح فى منزل الشيخ عبدالرحمن المفلحي وقد تمكن من نشر ضلالته بين تلك القبائل الساذجة . ثم انه ظهر مرة أخرى فى بلاد الحبشة فتنبه له سيدي الوالد فنزح هارباً منها وكان آخر العهد به .

ويرجع تاريخ هذا التدجيل القرمطي الى ظهور أبى سعيد حمدان فى العام الثانى والسبعين من القرن الثالث للهجرة وذلك ان أبا سعيد حمدان القرمطي جاء من خورستان ونزل الكوفة من العراق . وقرمطة لقب غلب عليه لأنه مرض أياماً فى الكوفة فكان يسعفه رجل يلقب بـ «كرميتة» ومعنى الكلمة أحمر العين وهي نبطية فلما

أبل أبو سعيد سمي باسم ذلك الرجل العجمي وغلب عليه الاسم فكان يدعى قرمطة وكان معروفاً بالصلاح والزهد والورع . بدأ فتنته بالدعوة الى امام من آل البيت فاجتمع الناس اليه وأقبلت عليه قبائل البدو نخفف عن الناس من عناء الصلاة اذ أسقط عنهم ثلاثة فروض وأبقى فرض الصبح وفرض المساء فأحبته القبائل حباً شديداً وقالوا هذا والله الامام المنتظر ثم انه أسقط عنهم صوم رمضان فازداد الناس رغبة فى مذهبه .

وكانت هذه الفتنة نهضة ايرانية ضد الخلافة والعرب وكانت العامل الأول فى هدم منار الخلافة العباسية ودك صرح الامبراطورية العربية الاسلامية .

أخذت الدعوة القرمطية تنتشر انتشاراً سريعاً فانقضت زعماؤها على العمال العباسيين فانتزعوا منهم الممالك وأوغلوا فى القتل والنهب والتخريب فاستولوا على عمان والحسا والقطيف والبحرين ومنهم من توجه الى اليمن والحجاز حتى انهم دخلوا مكة وقتلوا فى شعابها وفى المسجد الحرام اثنين وثلاثين الفاً من رجال ونساء[1] . وكان دخولهم مكة فى عام ٣١٧ هـ بقيادة زعيمهم الملعون أبى طاهر[2] سليمان بن حسن الذي وقف عند ركن البيت الحرام يفخر بقوله :

أنا لله ولله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

---

(١) وكانت هذه الحادثة خاتمة فتوحاتهم .

(٢) هو أخبث قواد القرامطة وله فظائع كثيرة كان يرمى إلى تحقيقها .

ثم انه صفر لفرسه فبالت فى ذلك الموضع الطاهر فى حين كان رجاله يملأون بئر زمزم برؤوس الشهداء ثم أمر بقلع الحجر الأسود ونقله الى الحساء وقيل أنه أعيد بعد اثنين وعشرين سنة .

أما الزعماء الذين يمموا شطر الشمال فقد اخترقوا البادية حتى وصلوا الى بعلبك . وكان سقوط البحرين فى أيدي القرامطة فى عهد المكتفي بالله ابن المعتضد العباسي . وقد أشار ابن مقرب العيونى فى قصيدته الى شذرة من تاريخهم . قال :

سل القرامط من شظى جماجمهم * فلقاً وغادرهم بعد العلى خدما
من بعد أن جل بالبحرين شأنهم * وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها * أرض العراق وتغشى تارة أوما
وحرقوا عبد قيس فى منازلهم * وصيروا الغر من ساداتها حمما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا * شهر الصيام ونصوا منهم صنما
وما بنوا مسجداً لله نعرفه * بل كل ما أدركوه قائماً هدما[1]

الأغابرة

وطنية صادقة — الكشكشانية — فتاة تميم — حكم وأمثال
يمنية — كلمات — صدى الزمن السعيد — النوتة الفطرية

الأغابرة قبيلة كبيرة من قبائل الحجرية وتتفرع منها عبس ،

(١) ولقد كان أبو الطيب المتنبي الشاعر المشهور قرمطي المذهب وتجد ذلك فى ديوانه

والأعروق ، والصلو ، والشويفـة ، والسجيدة ، والقبيطة ، وبني محمد ، واليوسفية . ورجال هذه القبيلة مسالمون محبون للخير والعلم مثابرون على الأعمال صباح الوجوه حريصون على نظافة ثيابهم وأبدانهم ممـا يدل على تمسكهم الشديد بتعاليم الدين وسنة النبي صلى الله عليه وسلم . ونزوعهم الى المدنية والمعارف تجعلهم فى مقدمة قبـائل الحجرية بأسرها . وفيهم وطنية صادقة تتجلى بتحمسهم لحكومة مولانا أمير المؤمنين وتفانيهم فى حب بلادهم وتعصبهم لعروبتهم . ولهم مواقف مشهورة ازاء الطاعنين فى حكومة مولانـا أمير المؤمنين أيده الله . ولا تجد فيهم شحاذاً ولا متسولاً قط .

ومن مميزات هذه القبيلة طلاقة الوجوه وفصاحه الألسن وهم يكسرون أول الفعل فى تحدثهم كما تفعل قبائل تميم . وقيل ان قبائل كنانة أيضاً تكسر أول الفعل ، يجوز ذلك . أما قبائل تميم فتكسر أول الفعل وتكشكش الضمير (١) .

حكي أن رجلاً ورفيقاً له تعرضا لفتاة من تميم فلما قاربتهم حيتهم بتحية حسنة فقال لها الرجل ممن الفتاة ؟ فقالت من تميم أصلحك الله ، فأراد الرجل أن يخجلها ويضحك منها فقال لها لماذا لا تكتنون يا بنى تميم ؟ فقالت ولم لا نكتنى ؟ وكسرت أول الفعل فضحك عليها الرجل وضحك رفيقه فأحست الفتاة بالنـكتة فبادرته قائلة أ لك خبرة فى تقطيع الشعر ؟ فقال لها نعم فقالت قطع هذا البيت

(١) يقولون من خلقش يعنى من خلقك

حولوا عنا كنيستكم   يا بني حمـالة الحطب

فقال نعم حولواع ناكني ستكم . فضحكت عليه وضحك رفيقه وقال واحدة بواحدة .

وقبائل الأغابرة يكسرون أول الفعل ويشنشنون[1] أواخر الأفعال التى تتقدمها عوامل النفي ويخففون فى لهجتهم بعض الـكلمات كحذفهم الدال من «قـد» فيلفظون «قد خرج» «قخرج» ويخففون «حينما» بحذف الياء والنون فيقولون «حما» ويخففون «أينما» بحذف نونها فيقولون «أيما» ويخففون «تأتى» بحذف همزتها وألفها فيلفظونها «تني» ومثلها «أرجيني» ويخففون لفظ «هكذا» بحذف اسم الاشارة ويكتفون بحرف التنبيه وكاف التشبية فيلفظونهـا «هكا» ومنهم من يجعل الهاء همزة فيقول «أكا» ويخففون «ما هو» باخفاء الألف والهاء فيلفظونها «مو» . هذه لهجة الحجرية كلها

نبذة من حكمهم وأمثالهم وكلماتهم الطيبة

لاتواذ السفيه ولا المجنون . الكنهير صدق أعينه . الكنهير هو المخادع ويريد بتصديق العيون قول الشاعر :

وعين الفتى تبدي الذي فى ضميره   وتعرف بالنجوى الحديث المغمسا[2]

ومثله لآخر

العين تبدي الذي فى نفس صاحبها   من المحـبة أو بغض اذا كانـا

---

(١) يقولون لا يظهرش يعني لا يظهر . (٢) المغشوش .

والعين تنطق والأفواه صامتة   حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

ومثله

رب طرف مصرح   عن ضمير بما أكن

﴿ المرأة ﴾

لا تخدعك بيضاء مغشر   الكبد عبلي مرر

المغشر فى لغتهم هو الجميل والعبلي شجر الصبر . وقد قال فى هذا المعنى الملك آكل المرار الحرث بن عمرو الكندي جد امرئ القيس وكان ابن هبولة الغسانى سبى امرأته فلحقه الحرث فقتله وارتجع المرأة وكان قد نال منها فقال لها هل أصابك ؟ قالت نعم والله ما اشتملت النساء على مثله ، فأوثقها بين فرسين ثم استحفزهما حتى قطعاها وقال هذه الأبيات

ان من غره النساء بشيء   بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين واللسان ومر   كل شيء يجن منها الضمير

كل أنثى وان بدت لك منها   آية الحب حبها خيثعور (١)

﴿ الثرثار ﴾

لا تصحب الملقلق * لصبحه هجة خرج مشرق

الملقلق هو الثرثار «لصبحه» اللام يستعملونها فى محل «ان» الشرطية والهاء فى مقام تاء التأنيث «الهجة» الغارة .

«اللقلق» فى اللغة هو اللسان . وجاء فى الحديث « من وقي

---

(١) خيثعور متاون .

شر لقلقه وقبقبه وذبذبه وقي الشر » يعني لسانه وبطنه وفرجه .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بواكي خالد بن الوليد بن المغيرة وما عليهن ان يرقن من دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نقع ولا لقلقه . وقال أبو محجن :

انى اذا ما زبب الاشداق   والتج حولي النقع واللقلاق
ثبت الجنان مرجم وداق

﴿ أمثال ﴾[1]

بضاعة لا حول ولا قوة ـ يضرب في الضعفاء والمتواكلين .
أوا ليد سعيد عمر ـ يضرب فيمن يشكون الجوع دائماً ، وسعيد عمر كناية عن الجوع . أصابته مراجم الجوع ـ يضرب في المتخوم ومراجم الجوع كناية عن اللقم . يبزي وحم ـ يضرب في الأكول المهزول ، ويبزي يرضع والوحم لبن الحامل . كلب حداد ـ يضرب في الكسول الذي لا يتحرك الا للأكل . يقولون ان كلب الحداد لا يوقظه وقع المطارق على الزبر فاذا جاء الطعام أيقظه صوت المضغ . ايده خلقت قبله ، يقولونها في الشحاذ وتقال في الرجل الجواد . شم كور ابطه ، يقولونها فيمن بلغ سن الرشد . بلا حيصال ، تصغير حوصلة ، يقولونها فيمن لا يستطيع كتمان السر . فيه وفيه تقال في الرجل الوسط في أموره ، وهي من الكلام المحذوف تقديرها نحو «فيه كرم وفيه بخل» . والحذف كانت تأتى به فصحاء العرب

---

(١) وهي كثيرة .

عند المقاضبة فى الكلام وفى خطبهم وأشعارهم كقول الشاعر الأسدي

سويد «فيه» فابغونا سواه أبيناه وان بهاه تاج

ويقول النابغة الذبيانى :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد[1]

وأنشد ابن الأعرابى :

اذا قيل أعمى قلت ان وربما أكون وانى من فتى لبصير

وقال عبدالله بن قيس :

بكرت علي عواذلي يلحينني وألومهنه

وقلن شيب قدعلاك وقد كبرت فقلت انه

وقالت المهاجرون يارسول الله ان الأنصار يفخرون علينا لأنهم آووا ونصروا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتعرفون ذاك لهم قالوا نعم يا رسول الله قال «فان ذاك» :

وكلم رجل من قيس عمر بن عبدالعزيز وذكره بشيء فقال عمر «وان ذاك» ثم ذكر حاجته فقال عمر «لعل ذاك» .

وقال الحجاج بن يوسف «كنت فبنت» طلق بها زوجته هند فقالت «كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا» .

---

(١) من قصيدة قالها فى المتجردة امرأة النعمان مستهلها :

من آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

زعم الغداف بأن رحلتنا غداً وبذاك تنعاب الغراب الأسود

لا مرحباً بغد ولا أهلاً به إن كان تفريق الأحبة فى غد

وهى طويلة أجاد وأحسن فيها .

هذا اختزال منطقي وجد فى مخاطبة العرب منذ قرون .

«يحرم من أيما يرزقوا» يضرب فى سيئ الحظ . وفى هـذا المعنى يقول الشاعر :

والسبب المانع رزق العاقل   هو الذي سبب رزق الجاهل

«دمـة الويل تجلب لك قراعية» يضرب فى المرأة السوء أو المحمقة ، والدمـة فى لغتهم القطة والقراعية جمع قرعي وهو الثعبان الأسود . «جلد قرافـة» يقولونهـا فى الرجل المرائي ، والقرافه هي الحرباء . والمثل الشرود يتلون كتلون الحرباء . «النوب تجنى من شجرنا ، والعسل ما هو لنـا» يقولها الرجل عن نفسه ويقولها عن جماعة وعن شعب وعن أمة .

﴿كلمات أدبية﴾

الله يصلحك ، أنا عبيدك ، أنا سعدي ، أنا فـداء . يستعملون هذه الـكلمات فى حديثهم للمباسطة والمجـاملة . «يانـاه» للعطف والهيمنة واستعظام الأمر وربيعة ومضر تقولهـا «ياهناه» . «حقيبك» للتأنيب والعتاب ، «لله حلات» لعـدم الاكتراث بمـا سيكون وللتسويف .

﴿الاشتقاق﴾

وهذه نبذة صغيرة من اشتقاقاتهم :

رؤاس ، عـيان ، أذان . فالرؤاس هو وجع الرأس والعيان هو وجع العينين والأذان وجع الأذنين والمرؤوس هو الذي

يطرأ عليه وجع الرأس والمعيون هو الذي ينتابه وجع العينين أو الذي تصيبه العين والمـأذون هو الذي يلحقه وجع الأذنين . المطيور ، كل فاكهة يأكل منها الطير . المنسل ، عود يفرى به الحب من السنبل . الملباج ، فرع محني يخبط به السنبل . المجران ، هو الموضع الذي يجردون فيه السنبل من الحب وهو البيدر . المحبأ ، الموضع الذي تحبأ فيه البقر . المضمد ، الخشبة التي تضمد بين الثورين فى حال الحراثة .

﴿ نوتتهم ﴾

يلحنون أغانيهم ويوازنونها على سجيتهم بأحرف النوتة الفطرية التى لا يتخلى عنها الانسان فى جميع أطواره . ولا يزال الفنان فى كل أمـة وشعب يردد أحرفها بشعور لاتنبهي وبغير استعداد ارادي فى الفترات التى ينسى به طوره ومحيطه فتتجلى عليه فطرته بمرافقها التى من جملتها أحرف النوتة الفطرية حتى ان النوتة الاصطلاحية الفنية التى تلقى دروسها وتكلف حفظها تختفي فى تلك الفترات الرجعية التي تحدث فيها أيضاً السبحات السحرية فى غمرات الفيض الفطري . وهـذه صورة النوتة الطبيعية التى لها رتبة الأسبقية :

دا — يا — نى — با — بل — لا — لي

وهذه الصورة الفنية :

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧

دو — ره — مي — فا — سول — لا — سي

يظهر لنا من هذه الصورتين أن الاختلاف بين النوتتين بسيط جداً ، طبعاً لأن الأخرى أخذت من الأولى الا أنها ليست على نهجها لأن الأولى مفرقة ومهملة شأن كل شيء طبيعي . أما الثانية فقد جمعت ونسقت ووضعت لها أساليب بنظام خاص حتى أصبحت فناً مستقلاً بذاته .

والنوتة الفطرية موجودة بكل حروفها السبعة فى اليمن فنهم من يستعمل من حروفها يا — دا — ني — لا — لي وقبائل تستعمل ثلاثة أحرف با — ني — لا وقبائل تستعمل بل — با — لي أما فى الأقطار الباقية فلا تجدها الا مفرقة .

وأوروبا بأسرها ليس لها منها الا حرف واحد وهو «لا» وبلاد أفريقية لها أربعة أحرف وهي يا — لا — لى — دا ولكنها موزعة وربما زادوا على الحرف منها شيئاً فى التخريج أوحرفوه . وبقية الجزيرة العربية والعجم والهند يستعملون لا — لى والصين واليابان يستعملون يا — نى — دا — لى وقد يحتاج الصينى الى هذه الأربعة الأحرف لموازنة أبيات الشعر كما أنها أنسب وأسهل فى موازنة الشعر العربى من التفاعيل والمفاعيل .

وفى اليمن الوسطى «الحجرية» يستعملون السبعة الأحرف كلها فتسمعهم قبل أن يأتوا بالقول فى اغنياتهم يترنمون بترديد «لى لى» أو «يا دا نى» أو «بل با لى» كأنهم يوازنون به اللحن وينسقونه قبل أن يجروا فيه الشعر .

﴿ صدى الزمن السعيد ﴾

ترى الرجل القروي من اليمنيين يميل الى ظل شجرة فيتنفس الصعداء ويهتف باسم «الشركسي» وتارة يسير بين المزارع والحقول يناجي «الشركسي» وطوراً فى الأودية والجبال مترنماً بأغانى بريئة مشجية يتردد فيها اسم «الشركسي» وجمال «الشركسي» وفتنة «الشركسي»

الشركسي راس الجبل علاله
نصله قديمي أو لهيب ذبالة

العلالة شجيرة جميلة المنظر تنبت فى شكل ريشة من قوادم الحمام يرصعها ندى الفجر فاذا برزت الشمس يخالها الرائى كأنها لهب ذبال المصباح أو خنجر ملتهب كما صورها الشاعر . وبمعنى آخر يقول :

يا شركسي يا خيرة الشراكس
يا قات يا مثنى بين البراكس

القات هو الشجرة الخبيثة(١) التى وعدنا بتبيين مضارها ونتائج تحليلها فى الجزء الثانى ، والمثنى هو الغصن الذى نبتت الورق فى رأسه وتجرد جسمه منها ، والبراكس جمع بركس وهو غصن معشوشب يأتى فى شكل سنبلة أوراقه كألسنة العصافير ويسمونه الملتمس . ويقول آخر

الشمس غابت قدروا المنازل

---

(١) وشجر القات وإن كان مضراً فى أكله إلا أن منظره بديع لا سيما النوع المذكور منه .

بيني وبين الشركسي مراحل

يريد تقسيم مسافات المنازل وجعلها مراحل ليفهم الناس المسافة التي بينه وبين الشركسي بالمراحل .

الشركسي هو الاسم الذي يموه به اليمنى اذا أراد التغنى بليلاه واذا سألت أحدهم ما هو الشركسى يقول لك كل غان جميل وكل غانية جميلة شركسى وما دروا أنهم يرددون بهذا الاسم صدى ذلك العصر البعيد الذي عاش فيه أسلافهم عيشة الرفاهية والبذخ فكانوا يقتنون الجوار والغلمان من الصقالبة والشركس وكانوا يتسرون الشركسيات وقد يشغفون بهن لما فيهن من الأدب الجم والثقافة العالية . يعود الفضل فى ذلك الى النخاسين الذين استجلبوهن من بلادهن ولقنوهن الأدب العربى ومن الفنون صناعة الشعر والتلحين والتوقيع على آلات الطرب والرقص وغير ذلك حتى يجعلوا منهن آيات فى الجمال والخصال .

وكان النخاسون فيما مضى يستجلبون الرقيق من بلاد أوروبا من الصقالبة والجرمن واليونان والشركس وغيرهم . ورد فى غزوات العرب ان التجار كانوا يأتون بأصناف الرقيق من بلاد الجرمانيين والسلاف وأحياناً من نواحي بحر الأدرياتيك يعنى ايطاليا والسرب والبانيا واليونان ومن نواحي البحر الأسود يريد البلقان والروس والقوقاز وتركيا والشركس قبيلة من قبائل الترك ولم يزل أهالي القوقاز يبيعون من أولادهم الى اليوم . فكانت هذه الشعوب تبيع من أولادها الى التجار وكان يأتى قسم منهم الى بلاد فرنسا لا للبيع والشراء بل

بواسطة السبي فى الحروب . وقد كان اليهود يستثمرون بؤس الأهالي ويشترون الأولاد من ذكور واناث ويأتون بهم الى مراسي البحر حيث كانت ترد سفن اليونان والبنادقة وتحملهم الى بلاد الاسلام

المدن الشهيرة في اليمن الأسفل

عظماء الرجال — رسالة فذة — ملحوظة

المدن القديمة والشهيرة فى اليمن الأسفل هي مدينة تعز ومدينة ذى السفال ومدينة ذي جبلة ومدينة اب .

ونكتفي فى هذا الباب بذكر نفر من العظماء الذين تولوا الحكم والقضاء فى المدن المذكورة نقلاً عن التواريخ اليمنية .

﴿ ترجمة المفتى ﴾

القاضى العلامة البليغ احمد بن حسين بن علي بن محسن بن ابراهيم ابن عمر ابن شيخ الاسلام عبدالعزيز بن تقي الدين عبدالعزيز بن احمد ابن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن عبدالله بن مسلمة المعروف بالمفتى الحبيشي الابى . نشأ بمدينة اب من اليمن الأسفل وأخذ العلم عن والده وغيره من علماء عصره وأخذ أيام اقامته بزبيد لدى والده على القاضى العلامة الحسن بن احمد عاكش الصمدي فى علم المعانى وكان صاحب الترجمة عالماً متفنناً لطيف الشمائل حسن الأخلاق بساماً فى وجوه الرفاق شاعراً بليغاً أديباً أريباً ناظماً ناثراً امتدح ملوك

وأعيان زمانه بقصائد فرائد وتولى القضاء فى غير جهة من البلاد اليمنية ومن شعره القصيدة التى امتدح بها الشريف الحسن بن محمد من أشراف تهامة بالقرن الثالث عشر وهي :

لشذىً تحرك من شذاه ما سكن فصبا لعهد صبا وحن الى سكن
وبدا له ذكر المعاهد من ربا أرض الحصيب وملعب الظبي الأغن
فبكى وغنى بالديار مشبباً وبأهله شغفاً ومن يعشق يغن
يا دار اطرابى وأحبابى وأصحابى وأترابى وسربى والختن
يا منزل الأقمار والأنهار والأزهار والأوتار والصوت الحسن
يا مربع الغزلان والأغصان والأفنان والألحان والغيد الفتن
يا دار معترك الشبيبة والصبا بالبيض والسمر المورده الوجن
يا شعب ذاك الشعب باكرك الحيا وسقاك يا زمن التلاقي من زمن
سقيا لعهدك مربعاً وظبائك الأتراب لي وطراً وقربك لى وطن
ولقد عهدتك والظباء سوانح ترعى خمائلها وماؤك ما أجن
لا تعجبن اذا بكيت وشاقنى برق وفارقنى اصطبارى والوسن
واعجب لخافقة الجناح تطوقت وتخضبت وشكت غرامي والحزن
ناديتها متعجباً منها وقد رقصت على فنن وغنت فى فنن
أحمام مالك والبكاء لم تفقدي إلفاً ولم تتشوقي خلاً ظعن
الماء تحتك سايح والظل فو قك وارف والدار معمور بمن
وصويحبات سايحات سابحا ت ساحبات فضل ذيل أو ردن
وعلى يمينك صاحب متودد وعلى شمالك خير خل أو سكن

أما أنا فغريب دار بعد ما ... كانت له فيها الأحبة والوطن

ما أن تركت اقامتى فيها قلى ... استغفر الله العظيم وهل يظن

لكنها نفس أبت عن عزها ... من أن تقيم بها بعيش ممتحن

فرضيت منها بالرحيل وانه ... من لم يكرم نفسه كرهاً يهن

ولرب ليل بت فيه مضاجعاً ... من سربها فى هضبها ظبياً أغن

نازعته كأس الطلا من ريقه ... ورحيقه وعقيقه لا كأس دن

كانت أحب الي من حلوى ومن ... عسل ومن خمر ومن سلوى ومن

أخذ العهود علي ليلة زرته ... أن أنظم الدر النضيد وأنظمن

وأصيغ منه فرائداً غزلاً به ... وأصوغ منه قلائداً فى كل فن

فى جيد مدح أبى المكارم والندى ... حسن أعز ملوك أبناء الحسن

ابن الجحاجح من ذؤابة حيدر ... وأجل من حمل القنا وبه طعن

ملك أعاد على الزمان شبابه ... وبهاءه بعد الزمانة والدرن

ومحا سواد الجور أبيض عدله ... حتى تخوف كل طرف منه أن

لا عيب فيه غير أن جريحه ... لا يرتجي الا المنية والكفن

ياابن الذي فض الصفوف بسيفه ... وبقوله فرض الفرائض والسنن

لا زالت الأعلام تخفق منك من ... حلي ابن يعقوب الى أقصى عدن

. . . .

ثم السلام عليك ياابن محمد ... بعد الصلاة على النبى المؤتمن

ومن شعره :

أبارق لاح على الأبرق ... أم لمعة من ثغرها الأفرق

وتلك نار سطعت فى الدجى   أم جمرة فى صحن خد نقي
وهذه أنفاس ريا الصبا   أم نفحة من طيبها الأعبق
أم عبرة حين سرت فى الدجى   مكان القت جوهر القرطق
فحدثيني يا نسيم الصبا   عنها وعن مغنى شبابى سقي
فعهدك اليوم به أقرب   وانني منه على موثق
هل ذلك الربع بسكانه   يزهو على المغرب والمشرق
وهل كسته السحب ديباجة   من سندس زاه واستبرق
أم خلع الأفق على جوه   برد أصيل مذهب مشفق
وتاه لا كبراً بأقماره   واختال بالأملد المورق
من كل هيفاء طروب لدى   ضرب المثانى عذبة المنطق
تشربها العين ولا ترتوي   سكراً ولم ترشف ولم تنشق
فى ثغرها فى خدها خمرة   بعينها فى قدها الأرشق
لله أياماً بذاك الحمى   مشت معي فى خطى المطلق
شرخ شبابى باسق غصنه   فى روض عيش رغد مورق
أيام تدعونى الى وصلها   منيعة الوصل بلطف رقى
أيام لا العذال فيها بمس   مع ولا الواشى بذى منطق
أيام شربى من ثغور الدمى   صرفاً واسقيها كما استقي
تلك الليالى البيض لكنها   دهم فليت الشمس لم تشرق

وكانت وفاة صاحب الترجمة حاكماً فى جبل برع فى سنة أربع وتسعين ومائتين وألف رحمة الله عليه .

﴿ المجاهد الجبلي ﴾

هو القاضي العلامة البليغ احمد بن الحسن بن قاسم بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن يحيي بن احمد المجاهد اليمنى الجبلي بكسر الجيم . نشأ بمدينة ذي جبلة من اليمن الأسفل وأخذ العلم عن والده وعن غيره من علماء عصره فاستفاد وكان عالماً متفنناً أديباً أريباً شاعراً بليغاً . وقد ترجمه القاضي حسن بن احمد الصمدى قال وفد الى مدينة زبيد وأنا مقيم بها فجمعتنا واياه مواقف تحصل فيها المذاكرة دلت على أن له يداً فى سائر العلوم وكان سريع البادرة مع ذهن يشتعل كالنار واذا استرسل مسألة أطال النفس فيها وخرج من بحث الى بحث وجرت بيننا المذاكرة فى مسائل عقلية ونقلية . وبعد مدة اتفقت به فى مدينة تعز وتردد الي كثيراً مع والده وكاتبنى بقصيدة جيدة انتهى .

قلت : ولصاحب الترجمة هذه الرسالة الدالة على معرفته وتحقيقه أرسلها الى سيدى العلامة المجتهد احمد بن محمد بن محمد الكبسي رحمه الله وكان قد وصل الى مدينة جبلة فصلى بها الجمعة وعزم منها الى مدينة ذى السفال واستقر بها وكانت الولاة على ذي السفال بتلك الأيام بعض القبائل من رجال بكيل فقال صاحب الترجمة معاتباً له ومنوهاً بفضائل جبلة :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل عوارف معارف العلوم غذاء حياة الأرواح وبراج معراج صعود ترقيها الى أوج مراتب الكمال والصلاح وأصلي وأسلم على واسطة عقد نظام فواتح مجليات فهم

معانى معانيهـا والمفتاح وعلى آله مشكاة نور تبلج أسفار وجـه الهداية والمصباح . وبعد فصدور هذه السطور المشار اليها حساً أو ذهناً فى هذا المسطور من محروس جبلة المحمية ذات الأوصاف السنية والشمائل العطرية والنسيم الشرقية والهواء البلورى والمنظر الحورى والخلخال النهرى والتاج العبقرى والأوقات الزهرية والمساند الدرية والشرفات النورية شعراً :

هي نقطة البيكار فى اليمن الذى جمعت به الأرزاق بالبركات

ما قط فى القطر اليمـانى مثلهـا كلا ولا فى الهـند والشامات

ولأمر ما لهجت بمحامد أوصافها الشعراء وأقر بحسنها وطيب مسكنها أولو الذكاء والبلغاء والقراء

ما فى الشتا قر ولا صيف به حـر ولا الوراد بالأدلاء

غيره :

ما مصر ما بغداد ما طبرية من بلدة قـد حفها نهران

غيره :

والمـاء زراق على حافاتهـا ما مثله صاف من الأكـدار

وفيها حافة السدر التى لها غرف تبنى المتحلية بالمحامد الخمس والسامية بذلك على غيرها سمو الشمس سمواً لا يعـتريه طمس حتى لقد كـان سواها من البقاع لا يعـد ونوه بذلك بعض الأدباء البلغاء مشيراً الى ذلك المقصد فقال :

وان هم قـد بنوا وعلوا فان بجبلة الأفراح سرمـد

ولكم فيها أبيات حمينية وأشعار حكمية وصدورها اليكم عاتبة فى سرعة الارتحال والاعراض منكم عنها وعدم انبساطكم الى طيب مسكنها وميلكم الى سكون ما هو لها كالذيل ويستنشق من فضلات نسيمها الفائضة من سواقيها حجر السيل على أنا كنا نود الاتفاق ونتمنى حصول التملي بطيب الشمائل والأخلاق

والليالى تقول لي بلسان   لا تامني فالاجتماع مقدر

خلا ان التأسي منا حاصل والأسف على عدم التلاقي مع القرب المتواصل اللهم الا أن يقال القرب المفرط أحد الموانع الثمانية ولبعض المحققين فيها بحث وتشكيك فى صحة دعواه كما هي ولعمري لا يقع اعراضكم عنها الا لمرجح ووجه وجيه لذلك موجب أو مصحح وحقيق منا لاختياركم غيرها انا نبحث كما هو شأن المحبين والأحباء من أهل السلوك والأقرباء

ومن مذهبي حب الديار لأهلها   وللناس فيما يعشقون مذاهب

غيره :

وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

ولا ريب ان من استرجع أمراً أو أحبه أكثر من ذكره واستروح ادكار حديثه ونشره

فلو داواك كل طبيب داء   بغير كلام ليلى ما شفاكا

وانه قد لاح منكم الميل والعدول عنها فليس للمحب غرض غير ترويح الخاطر بمذاكرتكم فى المدينة التي عدلتم اليها فيما يتعلق بها من العلوم

الأدبية والقوانين الطبية والحكمية والآداب السنية والأحكام الفقهية وغير ذلك من العلوم والمباحث العلية مما يشحذ الفهم ويزيد فى جواهر الأذهان ويحلو حلول مذاكرته أنموذجاً فى جميع البلدان ولراقم الأحرف فيها قصيدة حمينية فى أيام الشبيبة الطرية مستهلها :

روح فؤادك فى ربا ذي السفال وانظر براريها وشاهد
فيها الهواء بلور والماء الزلال والليل فى الأفراح زائد

ولقد هممت أن تورد لو لا علو مقامكم وما فى الحمينى من الايراد والرد وما يقال فيه ونسأل عن وجهة تسميته حمينى وعلى أي بحر من البحور المشهورة وهل كان ذلك بحصر الخليل لبحوره وبأي عصر كان هذا الوزن المحدث ومن ابتدأ بأول ظهوره ولهذا ثنى الحقير عنان القلم عن ايراد ما له فيها من الأبيات الحمينية فيما تقدم وصرف المفاكهة بكم الى ما وقعت به المذاكرة منا لمن وصل الى مثلها مثلكم وهي البحث : أولاً من حيث علم التاريخ عمن اختطها وبعصر من كان منشؤها ومن من الملوك المشهورين استوطن فيها وعمن عاصره العماد العمرانى من علماء الزيدية وما وقع بينهما من المسائل الاعتقادية . ومن حيث علم السنة هل يندب تحويل اسمها فيقال ذى العلا تفاؤلاً فى حكمها لما وردت به السنة فى مثل ذلك عن الشارع الحكيم فى موارد المسالك . ومن حيث علم الاشتقاق هل اشتقاق هذا الاسم من الأكبر أو من الأوسط أو من الأصغر . ومن حيث علم اللغة هل أوزان فعال محصورة كما قيل فى فعل فعلى وأضرابها المشهورة . ومن حيث علم

العربية والأدب ما وجه زيادة ذى واضافتها الى غير جنس يطلب وهكذا ما يقال فى ذى محمد وذى حسين مما هو مخالف للقواعد النحوية فى حكم ذى بلا مين . وللحقير اشارة الى هذا البحث الوضي فى مختصره المسمى بالكوكب المضي فى رواية المحقق الرضي وهل يجوز القول بأن ذى للاشارة وحذف هاء السكت منها لاتصال العبارة وهل اتصال البلدان من قبيل الأعلام الشخصية والجنسية وهل الألف واللام للجنسية . ومن حيث علم الوضع هل وقع اسمها معرفاً باللام وهل تراعى الأوضاع على ما فيها من مخالف أو تحريف . ومن حيث علم الطب ما الغالب عليها من الأخلاط والعناصر الأربعة والى أيـ جهة تنسب باعتبار الفضاء والسعة وأي الأمرين أوفق فيها للنضارة جوهر الليل أو جوهر النهار . ومن حيث علم المياه هل يتصف ماؤها بصفاته العشرة المدونة أو ببعض منها معدودة معينة . ومن حيث علم الفراسة هل الحكم فيها جار فى جميع الذوات أو ليس الا فيما له حاسة . ومن حيث علم الاختلاج والزلازل هل ذلك بعفونة أو لتكاثر أبخرة أو لحصول دلائل وما هو فى الحق للتعليل والثابت من حيث الدليل . ومن حيث علم الجغرافية هل الحق انها الاقليم الأول وبأي وجه عرف هذا الترتيب على القطع والتقديم والتأخير باعتبار الربع فما يجهل وهل المراد بكون الأول فى خط الاستواء منتصف الربع المسكون والفضاء مركز الفلك والهواء وهل ارتفاع القطب فيها وفى اقليمها متقاوم على سواء . ومن حيث علم الأوصولين هل

الصارف والدعاء منكم لها فى مقـدور العبد وهل ذلك ينضبط ويدخل تحت الحـد وهي من أمهـات الأصول المعضلات وعليها ناقش ولين بعض المحدثين مسائل التكليف بفروع الشرعيات وهل المراد مقدم على الارادة أو بعكس ذلك تحصل الافادة . ومن حيث عـلم التصريف والتمرين لو قيل ابن ذى السفال من ذى جبلة ما ذا يزاد وما ينقص عن هـذه الجملة . ومن حيث عـلم المنطق والميزان ما فى هـذا الاسم من القضايا المدونة فى علم البرهان وهل الحق صحة هـذا العـلم واعتباره أو فساد وضعه وعدم عفاء آثاره . ومن حيث عـلم الحساب والحروف والأسماء ما وجه خـلو اسمها على وجـه من عنصر التراب وهل يجوز القول بانتظام الجنس بدونه كما قال العلامة ابن القيم فى بعض مؤلفـاته فى عنصر النار وتدوينه عند ذكر آداب الأكل المشروع المقتبس بقول سيد الخلق فان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس. ومن حيث علم الطلاسم والتنطيق والتكسير واستخراج الأعوان هـل يجرى ذلك فى جميع البـلدان . ومن حيث عـلم الروحانيات النفسية والعلوم الرياضية هل يعلم المرء من نفسها عندها بتحركها الى مبدئهـا أو عن مبدئهـا . ومن حيث عـلم الفقه والفروع هل تجب الهجرة عنها لمخالفة التابع من ولاتها أمام العصر المتبوع والقيام منهم بمـا أمره اليـه وعدم دخولهم فيما دخل فيه السواد الأعظم وأطبقوا عليه وهـل المرء فى البقاء آثم وهل الرحلة على الفور منهـا أمر لازم سيما على رأي نجم آل محمد وامام أئمتهم القـاسم وهل يجوز أن يراعى فى البقاء معهم

التقـية أو طلب ارشاد وان لم تحصل الاجابة على المـدعية وهل يجوز الأخذ ممـا بأيديهم مع اشتهارهم على الاستيلاء على مال الغـير عـدواناً وتحكمهم وهل لقائل القول باعتداد ما بايديهم والواجبات بتجويز رضا أهلها لتقليل ما قـد وقع فيه لمـا كثر من الارتبـاك لا مجرد الشبهات وأشار اليـه الحقير فى مختصره المسمى نتـائج الأفكار فى تكميل فوائد الأزهـار وهل يجوز الدعاء للمحسن من ولاتهـا الظالمين وغيرهم من عصاة المسلمين عملا بظاهر عمومات مجملة أو لا يجوز كما ذهبت اليه جماعة المعتزلة فالبحث نفيس كثير الورود والدوران وللحقير رسالة هى مع صغر حجمها نهاية التحقيق فى هذا الشأن تعنون باتحاف المتورعين فى حكم الدعاء للعصاة والظلمة المسترعـين وهـل ملازمـة السير بهم من الركون اليهم المنهي عنه فى الـكتاب والمتوعد فاعله بنار العذاب وهل لتحديد حدود بلادها وغيره أصل جاءت به الشريعة باعتبار ما صار عليه العمل من أعمال القسامة ونحوها من الحوادث الوسيعة . ومن حيث علم المعانى والبيان هل الاسناد اليهـا من المجاز العقلى أو من مجازات الحذف وما بينهما من النسب الأربع وأيهما أحق وأبلغ وهـل يعتبر فى تشبيهها مجموع أمر متعدد أو يجوز أن يكون بمفرد متحد . ومن حيث علم الـكلام هل الأغلب فى الأسماء مناسبة المعنى والتعليل وليس ذلك الألقاب والـكنى كما قيل :

وطالما أبصرت عيناك ذا لقب به ... الا ومعناه ان فكرت فى لقبـه

ومن حيث عـلم الفلاحة هـل للانواء فى النبات والانبـات أثر يؤثر

بصلاحه لاطباق الزراع على اعتبار معالم الزراعة وتجربتهم لذلك فى تلك الصناعة وهل يؤيد ذلك ويقرر أنتم بدنيا كم أخبر ويخص ما ورد من النهي عن الأنواء فى حصول المطر . ومن حيث علم الهيئة ومقادير تعديل الأجسام هل هي وغيرها على سواء فى مقدار بعدها عن صور محيط كواكب الأجرام . ومن حيث علم الطبيعة كم قدر ارتفاع الغيوم والأمطار عنها وقوس قزح ونحوه سماع صوت الرعد والصواعق منها وكم الطول والعرض لها والميل ،وما الطالع لها من علم الفلك وكم يستخرج لذلك الدليل . ومن حيث علم المقولات العشر هل نسبته الى هيئة منكم اليها من الأول أو من الثانى عند الحصر وكم مقدار ما يقع من لغتها لغيرها فى الطالع . ومن حيث علم المواقيت هل هي مما له فى الأرض ظلالان أو ظل وهل أحدها لدخول وقت الظهر محصل وهل لها من حيث علم الرمل شكل مخصوص كما بجهاتها فى الطالع والنصوص . ومن حيث علم الصوفية والسلوك ومشرب القوم المسبوك هل الوعظ منكم لأذان ولاقامة وما الفرق بين المقامين والعلامة . ومن حيث علم الامكان والأوطان هل يندرج المرء فى حديث حب الوطن من الايمان اذا ارتحل عنه ونوى بغيره الاستيطان فالتخصيص محتاج الى مخصص والعموم يفتقر الى برهان وما محل هذا الحديث والتخريج له باعتبار السنة والبيان ومن حدد لها ولغيرها هذه الحدود من البلدان وهل لقائل القول بعدم ثبوتها عن صاحب الشريعة بأن ذلك مردود وما حكم من زوروا حروفها . ومن حيث علمي

العروض والقوافي وما له من الرصف والردف واللواحق التى لا تنافى . ومن حيث علم التفسير للقرآن وما الفائدة بقوله تعالى «والركب أسفل منكم» والتوقيت بذلك والتنكير ومجيء أسفل منصوباً بعد المرفوع مع كونه محط فائدة المبتدأ فى الخبر والوقوع الى غير ذلك من الفوائد والمباحث المتعلقة بها والمحرك لذلك مفاكهتكم وميلكم اليها من التعكر المشهور يا جبلة الغنا

يزول اذا ما رمت للمنظر الأسنا
وكيما أرى من رمت طيب لقائه ... وأحظى بقرب منه والقرب ينفعنا
فما يخلف الأشواق والوجد مرهم ... سوى وصل من يهواه طرفى ويتمنا

هذا ما سمحت بايراده الفكرة القاصرة مع ترادف الشغل المتظافرة

شغل الزمان كثيرة لا تنقضى ... وسروره يأتيك كالأعياد

فسامحوا فهي بنت ساعتها ومزملة بثياب ولادتها لا تقصد التعنت والاختبار ولكن من باب ادخال السرور وترويح النفس المشروع والاستظهار والله المطلع على الضمائر والاضمار

يا ناظراً فيما عنيت بجمعه ... اعذر فان أخا البصيرة يعذر
واذا ظفرت بزلة فافتح لها ... باب التجاوز فالتجاوز أجدر
واعلم بأن المرء ان بلغ المدى ... فى العمر لاقى الموت وهو مقصر

ختم الله لنا بحسن الختام خواتم نهاية غاية الخير والحسنى وجمع لنا بين نعيم الدنيا وبين نعيم سعادة غاية عاقبة الدارين بالمقصد الأسنى .

انتهت الرسالة وكان نقلها من خط سقيم قال فيه كاتبه أنه قد أجاب عنها بجواب مستوفى بسيط سيدى العلامة الحسن بن عبدالوهاب

العروض والقوافي وما له من الرصف والردف واللواحق التى لا تنافى ، ومن حيث علم التفسير للقرآن وما الفائدة بقوله تعالى «والركب أسفل منكم» والتوقيت بذلك والتنكير ومجيء أسفل منصوباً بعد المرفوع مع كونه محط فائدة المبتدأ فى الخبر والوقوع الى غير ذلك من الفوائد والمباحث المتعلقة بها والمحرك لذلك مفاكهتكم وميلكم اليها من التعكر المشهور يا جبلة الغنا

يزول اذا ما رمت للمنظر الأسنا
وكيما أرى من رمت طيب لقائه ... وأحظى بقرب منه والقرب ينفعنا
فما يخلف الأشواق والوجد مرهم ... سوى وصل من يهواه طرفى ويتمنا

هذا ما سمحت بايراده الفكرة القاصرة مع ترادف الشغل المتظافرة

شغل الزمان كثيرة لا تنقضى ... وسروره يأتيك كالأعياد

فسامحوا فهي بنت ساعتها ومزملة بثياب ولادتها لا تقصد التعنت والاختبار ولكن من باب ادخال السرور وترويح النفس المشروع والاستظهار والله المطلع على الضمائر والاضمار

يا ناظراً فيما عنيت بجمعه ... اعذر فان أخا البصيرة يعذر
واذا ظفرت بزلة فافتح لها ... باب التجاوز فالتجاوز أجدر
واعلم بأن المرء ان بلغ المدى ... فى العمر لاقى الموت وهو مقصر

ختم الله لنا بحسن الختام خواتم نهاية غاية الخير والحسنى وجمع لنا بين نعيم الدنيا وبين نعيم سعادة غاية عاقبة الدارين بالمقصد الأسنى .

انتهت الرسالة وكان نقلها من خط سقيم قال فيه كاتبه أنه قد أجاب عنها بجواب مستوفى بسيط سيدى العلامة الحسن بن عبدالوهاب

الديلمي الذماري رحمه الله ، انتهى .

ووفاة صاحب الترجمة بمدينة ذي جبلة سنة ١٢٩٨ رحمه الله وايانا والمؤمنين آمين .

﴿ القاضي احمد بن محمد المجاهد الجبلي ﴾

وأما القاضي العلامة احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن يحيى ابن احمد المجاهد صاحب جبلة فأخذ بمدينة ذمار عن القاضي العلامة علي ابن احمد بن ناصر الشجني وعن السيد العلامة احمد بن علي بن سليمان واستفاد بمدينة ذمار ثم انتقل منها الى مدينة ذى جبلة من اليمن الأسفل فسكن فيها وكانت له جراية على التدريس والفتيا بها ثم استمد له القاضي العلامة علي بن ابراهيم المجاهد أمراً من المهدى العباس بن المنصور الحسين فى الحكم بها مجاناً .

﴿ السيد احمد بن يحيي بن المتوكل الجبلي ﴾

هو السيد العلامة احمد بن يحيي بن الحسن بن القاسم بن علي المتوكل على الله اسماعيل ابن الامام القاسم بن محمد الهاشمي الحسنى القاسمي اليمنى الجبلي بكسر الجيم وسكون الباء مولده فى سنة ١٢٠٨ بمدينة ذى جبلة ونشأ بها وقرأ على علماء عصره فيها وفى غيرها ودعا الى الله سبحانه فى جبلة سنة ١٢٥٩ وتلقب بالمهدي لدين الله ثم تنحى للمتوكل محمد بن يحيي الداعى فى سنة ١٢٦١ واستقر المترجم له فى مدينة ذى جبلة من اليمن الأسفل وتوفى بمكة المكرمة فى سنة ١٢٨١ عن ثلاث وسبعين سنة رحمه الله وايانا والمؤمنين .

﴿ الحسن بن قاسم المجاهد الجبلي ﴾

هو القاضى العلامة الحسن بن قاسم بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم المجاهد الذمارى الجبلي العلامة الذكى الحاكم فى مدينة ذى جبلة من اليمن الأسفل مولده فى سنة ١١٩٠ تقريباً ومسكنه هو وأهله فى مدينة ذى جبلة انتقلوا اليها من مدينة ذمار وقد سبق ذكر ولده القاضى احمد بن الحسن . قال الشوكانى كان صاحب الترجمة عارفاً بالفقه والفرائض والنحو والأصول وله مشاركة فى علم الحديث وفهم جيد وذهن صحيح وقرأ علي عند وصولى الى مدينة جبلة مع الامام المتوكل احمد فى الحديث والأصول ولازمنى مدة اقامتي فى تلك المدينة وقد أجزت له أن يروي عنى مروياتي وهو أهل لذلك لرغوبه فى العلم واكبابه عليه . وقد كتب بعض مؤلفاتي كالدرر والدراري والفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة وحاشية شفاء الأوام والسيل الجرار وغير ذلك وله سماعات علي عند قدومه الى صنعاء وقد قدم اليها مرات وصار قاضياً فى محلات ورسخت معرفته وعمل بالدليل ، انتهى . ثم تولى صاحب الترجمة القضاء بذى جبلة وتوفى بها فى سنة ١٢٧٦ تقريباً عن نحو ست وثمانين سنة رحمه الله وايانا والمؤمنين آمين .

﴿ عبدالله بن شرف الدين الجبلي ﴾

هو القاضى العلامة عبدالله بن شرف الدين المهلل اليمنى الجبلي الشافعي ولد تقريباً سنة ١١٧٠ وسكن مدينة ذى جبلة من اليمن الأسفل . وقد ترجمه الشوكانى فقال : له معرفة تامة بفقه الشافعية

وفهم صحيح فى غير الفقه وزهد تام وتأله بالغ ، قرأ علي عند وفودي الى مدينة جبلة مع الامام المتوكل على الله فى مشكاة المصابيح وسمع فى غيرها من كتب الحديث . وهو من مكثري الاذكار والعبادة والزهد والقنوع بما تيسر من المعيشة ، انتهى .

ووصول الشوكانى مع المتوكل على الله احمد الى مدينـة جبلة هو فى سنة ١٢٦٦ وموت صاحب الترجمة فى القرن الثالث عشر رحمه الله وايانا والمؤمنين آمين .

﴿ الفقيه قاسم الجبلي ﴾

هو الفقيه العلامة قاسم بن سعيد بن لطف الله الجبلي نسبة الى ذى جبلة مولده تقريباً ١١٨٠ قرأ فى الآلة وفقه الشافعية ورحل الى مدينة زبيد فقرأ على مشائخها وقرأ أيضاً فى عـلم الطب ، وقد ترجمه شيخه الشوكانى فقـال : قرأ علي فى أوائل الأمهات الست وأوائل المسندات وما يلتحق بهـا وفى شرح العمدة لابن دقيق العيد وكانت القراءة فى مدينة ذى جبلة وفى ذى السفال عند قدومي اليها مع المتوكل على الله احمد فى سنة ١٢٢٦ ولازمنى ملازمـة تامة وهو فائق الذكاء وجيد الفهم حسن الادراك حسن المحـاضرة له فى الأدب يد حسنة وقد أجزت له جميع مروياتى ثم أسمع منى فى صنعاء فى الصحيحين وغيرهما وصار الآن فى صنعاء فى الحضرة الامامية وله معرفة تامة فى الفقه والحـديث وعـلم الآلة . وقال الشجنى : ان صاحب الترجمة صحب المتوكل على الله احمد وكان طبيب حضرته ولمـا مات المتوكل فى

سنة ١٢٣١ عاد صاحب الترجمة الى وطنه ذى جبلة . رحمه الله وايانا والمؤمنين .

﴿ القاضي محمد الشويطر الإبى ﴾

هو القاضى محمد بن محمد بن محمد بن يحيي الشويطر الابى مولده سنة ١١٨٢ أخذ بمدينة ذمار فى الفقه والفرائض عن القاضى عبدالقادر ابن حسين الشويطر وصنوه محسن بن حسين الشويطر . وقد ترجمه صاحب مطلع الأقمار فقال : هو من بيت مشهور بمحبة آل البيت وكان من كملاء الرجال عارفاً بالفقه والفرائض وقراءته بمدينة ذمار ثم ارتحل الى وطنه مدينة إب فدرس بها فى شرح الأزهار والفرائض وممن أخذ عنه الفقيه العلامة محمد بن عبدالقادر الشويطر وغيره وحكم بإب مجاناً الى أن توفى هنالك سنة ١٢١١ . رحمه الله تعالى وايانا والمؤمنين .

﴿ القاضى يحيى البصير الإبي ﴾

هو القاضى العلامة الأديب يحيى بن عبدالله البصير الإبى نسبة الى مدينة إب من اليمن الأسفل كان فقيهاً فطناً ذكياً أديباً أريباً ومن شعره فى مدح حدة النزه المعروفة فى جنوبى صنعاء :

لله يوم قد جمعنا به فى حدة ليس له من نظير
شاهدت أشجاراً بها قد حكت مواكباً أضحت تحث المسير
فحاؤها جيم لدى من يرى ودالها نون لدينا شهير
وهاؤها باقٍ على رسمه هذا وما التحريف الا يسير

نخل عنك اللوم يا عاذلي لأنني راضي لنفسي بصير

ولما اطلع على البيتين الشهيرين للقاضي محمد بن علي الشوكاني في مدح ليل مدينة المخادر المعروفة وعلى ذيل الفقيه لطف الله جحاف لهما بالبيت الثالث وذيل الفقيه قاسم بن سعيد الجبلي لهما بالبيت الرابع وذيل الفقيه احمد بن حسين البصير الإبي لهما بالبيت الخامس والسادس ذيلها بالثلاثة الأبيات الأخر ثم خمس جميع التسعة الأبيات فقال :

فوق الغصون بلابل قد غردت
وعلت على عنق الغزال فأطربت
من في الحمى أشجانها إذ أنشدت
ان الليالي في المخادر قد غدت عقداً على جيد الزمان لآليا

ما خلت في شرق ولا في مغرب
مثل التي قامت بصافي مشرب
أعني المخادر ان هذا مذهبي
وبذا قضيت لها وكل مهذب إن بات فيها صار مثلي قاضيا

فاحكم لها حكم النبيه المستدل
ان كنت مجتهداً وممن يستقل
أو قل اذا حييت انك لا تحل
ولقد وليتك بالقضاء ولست بـ القاضي ولكني بحلمك واليا

يكفيك من أسنى مزايا وصفها
لين الهوا ورقيق معنى لطفها

ان الليالى كاللآلى تستهل

وكذا بها قولى وقول القاضى الـ   مشهور فى سفح المخادر ماضيا

ثم ذيل هذه التسعة الأبيات الفقيه احمد العيانى بثلاثة أبيات أخرى وخمسها الفقيه احمد بن حسين البصير الابى والفقيه على بن أيوب الجبلى رحمهم الله تعالى . ومات صاحب الترجمة وغصن شبابه رطيب وثوب حداثته قشيب فى سنة ١٢٤٤ . رحمه الله تعالى وايانا والمؤمنين آمين .

﴿ القاضى المجاهد الإبى ﴾

هو القاضى العلامة يحيى بن على بن ابراهيم المجاهد الإبى . أخذ فى شرح الأزهار عن القاضى سعيد السماوى والقاضى على بن احمد بن ناصر الشجنى والقاضى عبدالقادر بن حسين الشويطر . وقد ترجمه مؤلف مطلع الأقمار فقال : هو ممن ساد وشاد معالم الدين وأفاد واشتهر بفعل الخيرات والأعمال الصالحات فهو من خلاصة المحبين وأهل الفضل والورع فى الدين والعلماء المحققين . وهو الذى أشار بذكر الصلوات الخمس التي نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفروض الخمسة وبعد التهليل على الميت وقام وثار فى ذلك فثبتت فى إب وجبلة ومدينة ذمار واستمرت بحميد سعيه فجزاه الله عن محمد وآله خيراً ومات فى سنة ١٢٧٩ رحمه الله تعالى وايانا والمؤمنين آمين .

* * *

ملحوظة

أوردنا فى هذا الجزء من مناقب العصا وهي سليمة ما فيه الكفاية أما تفاريق العصا فسنذكرها فى الجزء الثانى ان شاء الله وسنضيف اليها مطاعن الشعوبية على العرب فى العصا والرد عليهم . أما من هم هؤلاء الذين يسمون الشعوبية ؟ هم رهط من الناس يذهبون الى الحط من شأن العرب وتحقير قدرهم وتصغير أمرهم ويرون أن لا فضل لهم على غيرهم ومنهم من يسوى العرب بسواهم من الأمم والشعوب ومنهم من يفضل بعض أنواع العجم على العرب ومنشأ ذلك كله من بعض الموالى وأبناء الاماء . ويقال ان زياداً بن ابيه لما استلحقه معاوية بأبى سفيان علم أن العرب لن تقر له بذلك مع علمهم بحقيقة حاله وبعلة ذلك الاستلحاق فعمل كتاب «المثالب» وألصق فيه بالعرب كل نقيصة . وزعموا أن هشاماً بن عبدالملك أمر النضر بن شميل وخالد بن سلمة المخزومي فوضعا كتاباً فى مثالب العرب ومناقبها وليس لقريش فى هذا الكتاب ذكر . ثم وضع الهيثم بن عدى وكان دعياً كتاباً حاول فيه أن يعير أهل الشرف من العرب تشفياً منهم . ووضع أبو عبيدة معمر بن المثنى كتاباً فى المثالب بالغ فيه واستقصى لأن أباه كان يهودياً وكان ربما يعير بذلك مع علمه وفضله وسعة احاطته . ثم نشأ علان بن الحسن الشعوبى الوراق وكان متزندقاً فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً فى مثالب العرب بدأ فيه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر

العرب وبهتهم فيه بكل نقيصة ورماهم بكل قبيحة . وقد خرج فى هذا الكتاب عن آداب الاسلام . وأجازه طاهر عليه بثلاثين ألف درهم . ثم وضع ابن غرسية رسالة بليغة فى تفضيل العجم على العرب وكل هذه الكتب قد بادت ولم يبق منها الا بعض حكايات منثورة فى كتب الأدب ودواوين التاريخ . انتهى عن البيان والتبيين .

تم وضع هذا الجزء فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤١

ويليه الجزء الثانى